8me Année No. 384

Lundi - 11 - 11 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٣٨٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٥٩ — الموافق ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــــرس

بشائر السلامة

أمة التوحيد تتحد . . .

قالت الأهرام فى عدد يوم الجمعة الماضى : « إن هناك بحثاً يدور الآن فى بعض الدوائر العربية حول تكوين حلف عربى يواجه به العرب الظروف الحاضرة التى يجتازها العالم اليوم . والمفهوم أنه إذا انتهى هذا البحث التمهيدى فستدعى الحكومة المصرية رسمياً إلى الاشتراك فيه . أما الدول التى يشملها هذا الحلف فهى : مصر وسورية وفلسطين والعراق والحجاز . وقد يتسع نطاقه فيشمل إيران وأفغانستان »

هذا التفكير على أي شكل كان يدل على تيقظ الروح الماجد فى الجسم العربى ، ويبشر بتجمع القوى الشتيتة فى أعضائه ، ويطمئن قلوب الأحرار الأبرار الذين تتفارطهم الهموم على مستقبل العرب والإسلام والشرق . وكان من أعجب العجب أن يرى العالم العربى الخطوب تتواثب على جوانبه، والنوازل تتفاقم فى أحشائه ؛ ثم تظل كل دولة من دوله سادرة فى مشاعب هواها تتلهى بالنظر الفرير إلى حركات زعمائها وهم يتصارعون على المناصب ويتنازعون على الحكم ؛ كأن السلامة والسلام أمران يجريان من حياتها مجرى الأمور الطبيعية كالنوم واللذة والضحك ، فهى لا تشغل بهما البال ولا تدير عليهما الفكر

ولقد قلنا منذ عام حين تحلبت أشداق النازية على حدود الدول الصغيرة: إن الدويلات الضعيفة كان لها فيما مضى من الزمن السعيد حارس من سلطان الدين وحكم القانون وعرف السياسة، فكانت تعيش فى ظلال الخلق الإنسانى العام حرة آمنة، لا تجد من جاراتها الكبرى إلا ما يجده الصغير من عطف الكبير، والفقير من عون الغنى؛ فلما كفر النازيون والفاشيون بشرائع الله وقوانين الناس أخذوا العالم بسياسة السمك، ففسد النظام، واختل التوازن، واضطربت الحياة، وذل الحق، وأفلس المنطق. فليس لها اليوم من عاصم إلا أن تنضوى إلى الديمقراطية التى تجاهد فى سبيل السلام والحرية والمدنية بجانب جهادها فى سبيل نفسها؛ حتى إذا انتصرت على هذا الطغيان المسلح الكافر نظرت هى فى يومها وفى غدها، فتعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النمل والنحل والقرود، وهو التجمع والتعاون، فيكون بين البلاد المتجاورة كشعوب الإسلام الأربعة عشر شبه ما بين الولايات الأمريكية الثمانى والأربعين: من اتحاد السياسة الخارجية، والدفاع العام، والدستور الشرع، والرئيس الحاكم. وإذن لا يبقى على الأرض أمة صغيرة يقوم على استعمارها النزاع ويميل من جراها ميزان السلامة

* * *

إن من يستمع إلى الإذاعة العربية من بلاد المحور يرتمد فرقاً من هذا الإخلاص الإيطالى للإسلام وذلك العطف الألمانى على العرب. ومن شقاء العقل أن تحمله على أن يسيغ هذه الدعاية الغريبة التى اتخذت وا أسفاه ألسنتها من بعض العرب الذين فتنهم المال النرور لتقول: إن فيالق الدتشي وكتائب الفوهرر لم تحشد فى صحراء مصر وجبال البلقان إلا لتنقذ العرب والمسلمين من عذاب الديمقراطية البريطانية!

ليت شعرى من الذى حلهم هذه الرسالة وأوجب عليهم هذه التضحية؟ لسنا إخوتهم فى الجنس ولا فى العقيدة ولا فى المنفعة حتى يكون لما يبذلون فى سبيلنا من الأموال والأنفس مسوغ. ولسنا من السذاجة والغفلة بمكان القطيع الذى حالف الذئب الجائع الطامع على الكلب الحارس الأمين. إنما نحن شعب عتاد حكم العالم فى ماضيه، وتمرس بالشدائد فى حاضره؛ فله من بصيرته المرونة نفاذ إلى صميم الخديعة، ومن تجاربه الألمية سداد فى منزالق الفتنة؛ فلا نجهل أننا نحن الغنيمة التى يحتربون عليها، والطعمة التى يختصمون فيها؛ وكلما أرسلوا الأمواج من مذاييع بارى وبرلين تحمل إلينا منهم الشوق المبرح والحدب الشديد، تضامنا من الفزع ليتقى بعضنا ببعض سهام كيوبيد الأثيرية!

هذا التضام هو التكتل الذى يصير إلى الوحدة. والوحدة التى يقتضيها الدفاع عن النفس ويدعو إليها الخوف، أوثق وأصدق من الوحدة التى يوجهها النزوع إلى الأنس ويبعث عليها الأمن

لقد كان العرب والمسلمون فيما غبر متواكلين متخاذلين، لأنهم كانوا وهم على هذه الحال يستطيعون فى حمى الديمقراطية السمحة أن يعيشوا بوجه من الوجوه. ولكن ماذا عساهم يصنعون وهذه الدكتاتورية الباغية تزحف شعبتاها إلى الشرق عن طريقين مختلفين: شعبة تبغى استغلال البلاد لأنها بطبيعة أرضها فقيرة، وشعبة تريد استعباد الناس لأنها بطبيعة عنصرها على زعمها سيدة. وإذا دهمك من اليمين ومن الشمال الجائع السلاب والمتكبر الغلاب فقدت وجودك المادى والأدبى بين السلب والتغلب؛ ثم لا تدرى أى شىء تكون بعد ذلك!

فاتحاد الأمم العربية أمام هذا الخطر الهاجم ضرورة خلقتها غريزة حب الحياة. وفى اعتقادى أن الأمر فى هذا الاتحاد لن يقف عند مناقشة الفكرة ومواضعة الرأى؛ ولكنه سيتعداها إلى إمضاء العزيمة وإنجاز العمل. ذلك لأن كل أمة من هذه الأمم تشعر فى وسط هذه الكوارث الداجية بما تشعر به الشاة الشاردة من القطيع. وإن أسهل على الطبيعة أن تعيد اتحاداً ألفه الله من صلة الدم ونسب الروح، من أن تبدئ اتحاداً ألفه الشيطان من النازية والفاشية والشيوعية والوثنية؛ فإن هذه النحل المجرمة أضداد تنسجم فى الباطل وتتنافر فى الحق، ولا بد أن يدركها داء البغى فتخر خارة صريعة أمام قوى الخير والعدل ولو بعد حين!

أحمد حسن الزيات

أخـــــلاق القرآن

الاحسان

للدكتور عبد الوهاب عزام

الإحسان الإتيان بالحسن من القول أو الفعل . والإحسان خلق ينزع بصاحبه إلى الحسن من كل شيء ، وينفر به عن القبيح من كل شيء ، ويطمح به إلى الأحسن فالأحسن رُقيًّا في درجات الكمال

فعل الخير إحسان ، وتأدية الواجب إحسان ؛ ولكن أكثر ما يقال الإحسان للتبرع الذي يزيد على أدنى درجات الواجب ، وللتفضل بأكثر مما يطلب . وذلك درجات يعلو بعضها بعضاً حتى تنتهي إلى الكمال

في كل عمل درجات من الإحسان يختلف فيها المتسابقون إلى الخير ، ينال أدناها كثير من الناس ، ثم يقلّون كلما علت الدرجات حتى ينقطع معظم الناس دون الدرجات العُلى فلا يبلغها إلا أفذاذ من الأخيار المحسنين

وفي كل صنعة درجات من الإحسان يتنافس فيها الصناع إلى أن يستأثر النابغون بدرجات يقف دونها الدهماء والأوساط

والأفراد والجماعات والأمم تتفاوت في الضروريات كالطعام والشراب اللذين يمسكان الحياة ، والملبس الذي يقي الجسم عوادي الحر والبرد ، بل يستوي في ذلك الأمم التي لا تزال في درك الهمجية والأمم التي بلغت في الحضارة مكاناً علياً ، وإنما يتفاوت الناس في الحاجيات والكماليات تفاوتاً بعيداً ، يقاس بما بين طعام الهمج وملبسهم ومعاملاتهم وبين نظائر أولئك في الأمم التي توفر نصيبها من الحضارة

وكذلك يعظم تفاوت الناس في الإحسان . الواجبات يحتمها القانون أو العرف ، وفوق الواجبات ضروب من التبرع في المعاملة أو الإتقان في الصناعة يتلاحق فيها الناس إلى درجة الكمال أو ما يقرب منها

وفي الناس من يقنع بأداء الواجب ، وهو الدرجة الدنيا من الإحسان ، وفي الناس من لا يعرف في الإحسان حدا ، ولا في الكمال غاية ؛ طماح كلما بلغ درجة استشرف لما فوقها . والنفوس الكريمة تنزع إلى العلاء نزوعاً دائماً ، وتتطلع إلى الكمال كل حين . تحس في سريرتها دعوة من الله العلي تدعوها إلى الرفعة وتهيب بها إلى الكمال ، وترى النقص في كل درجة فوقها درجة ، لا أعني درجات من الغنى والجاه والسلطان ، ولكن درجات من الخير والمواساة والرحمة ، وتكميل النفس في معارفها وعواطفها ، درجات من النظام والجمال في عقل الإنسان وخلقه وبيئته وكل ما يتصل به . رحم الله أبا الطيب الذي يقول :

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

رحم الله النفس الطماعة اللوّامة التي لا تحدّ طموحها غاية ، النزاعة إلى الخير والكمال في غير نهاية . إنما يسيّر الله خلقه إلى الكمال بأمثال هذه النفوس ، ويهديهم إلى المثل العليا بأفعالها وأقوالها

وقد جاء في الحديث أن الرسول صلوات الله عليه سئل : ما الإسلام ؟ فقال : « أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » ثم سئل : ما الإحسان؟ فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . فقد جعل الرسول الإحسان تأدية العبادة على أحسن الوجوه ، وأن يبلغ بها العابد أعلى الدجات

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا في قوله : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طَعِموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين » . جعل الإحسان نهاية التقوى والعمل الصالح

والقرآن الكريم يأمر بالإحسان كله : الإحسان بفعل الحسن واجتناب القبيح ، والإحسان بمجاوزة الحسن إلى الأحسن . وقد أكّد الأمر به وكرره وبيّن مكانة المحسنين من الله سبحانه وجزاءهم عنده

بيّن القرآن أن الله تعالى أحسن خلق الناس وأحسن خلق كل شيء . قال : « ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين » . وقال : « الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين » . وإذا كان خلق الله كله إحساناً فهذا العالم أولى به الإنسان ، وأقرب إلى سنته وإلى مرضاة خالقه

بل بين القرآن أن الغاية من الحياة والموت والعمران استباق الناس إلى الإحسان وتنافسهم فيه

قال : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً »

وقال : « إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً »

أمر الكتاب الكريم بالإحسان فى العمل إذ قال : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان . » والإحسان هنا إما أن يكون فعل الحسن وإما أن يكون زيادة على العدل . فالعدل إيتاء كل ذى حق حقه ، والإحسان أن يعطى الإنسان ما لا يلزمه ويفعل أكثر مما يطلب منه . ومهما يكن فهذا وذاك يأمر به القرآن ويدعو إليه ويحث عليه

وأمر بالإحسان فى القول إذ قال : « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن . » وقال : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها . إن الله كان على كل شىء حسيبا . » فالمسلم مأمور أن يحسن فى فعله وقوله جهد الطاقة ، حتى ينتهى به الإحسان إلى الكمال الذى هو أليق به وأقرب إلى مقاصد دينه

وهذا الإحسان الذى أمر به المسلمون عام لا يخص فريقاً دون فريق إلا من ظلم واعتدى فليس له من إحساننا نصيب . يقول القرآن الكريم : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم . »

الطريقة المثلى والدين الأحسن فى شرعة القرآن أن يؤمن الإنسان بالله ويخلص له ويفعل الحسن . بين هذا القرآن فى قوله : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » . وفى قوله « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، وقوله « من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

هذه هى الطريقة المثلى والخطة التى تكفل للانسان سعادته واجتماع القلوب عليه وتجنبه الشقاء والبغضاء والشحناء مما يجعل الحياة شراً والأرض سعيراً . فى الكتاب المبين : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » وهذا مطلب عظيم يحتاج إلى رياضة النفس على الخير وصبرها على المكاره . لذلك يقول القرآن بعد هذه الآية « وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » وقال فى آية أخرى : « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار »

ويبين القرآن أن الإحسان يكون فى كل عمل وفى كل قول.

فالاعتراف بالحق والإيمان به إحسان . حكى القرآن عن جماعة من القسيسين أنهم آمنوا وقالوا فيما قالوا : « وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » وقال عقب هذا : « فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين » . فقد عد قولهم النبئ عن الإيمان إحساناً . وفى آية أخرى يعد العفو عن المسىء والصفح من الإحسان قال : « فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين » وعدَّ استجابة المسلمين لدعوة الرسول إلى تعقب المشركين بعد ما أصاب المسلمين فى أحد — عدَّ هذا إحساناً فى قوله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » وعد احتمال المشقة فى سبيل الحق إحساناً فقال فى المجاهدين : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ، ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين »

النفس الكريمة الطيبة تنزع إلى كل عمل حسن وتنفر من كل قبيح ولا تقف فى الإحسان عند حد، فهى تواقة إلى الأحسن فالأحسن ؛ تحسن فى كل فعل وفى كل قول وتطمع فى كل درجة إلى ما فوقها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

والمحسنون مقربون إلى الله سعداء بقربه ومحبته ، لا يفارقهم إحسانه ورحمته . يقول القرآن : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين. ويقول إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . ويقول : إن رحمة الله قريب من المحسنين »

وأما جزاء الإحسان فقد قال فيه القرآن : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» . وقال : «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» جزاء الإحسان أن يحسن الله إلى المحسن فى الدنيا والآخرة . جزاؤه فى الدنيا صلاح النفس وتزكيها وفتح أبواب المعرفة عليها واستمتاعها بالحياة على أحسن وجه وتمكنها فى الأرض وسيادتها وبلوغ الكمال الذى أراده الله للمحسنين . جاء فى سورة يوسف : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما . وكذلك نجزى المحسنين » وقال فى السورة نفسها : « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء . نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين » . جزاء الإحسان فى هاتين الآيتين إيتاء الحكمة والعلم والتمكن فى الأرض والرحمة . وأعظم به من جزاء

مسابقة الجامعة المصرية

لطلبة السنة التوجيهية

للدكتور زكى مبارك

— ١ —

تمهيد

كان يراد بالجامعة المصرية ، الجامعة التى أنشأتها الأمة سنة ١٩٠٨ ، والتى تحولت إلى جامعة أميرية سنة ١٩٢٥ ، وقد سميت «جامعة فؤاد الأول» سنة ١٩٣٨ تكريماً لذلك الملك المعظم ، لأنها أنشئت فى عهده ، ولأنه كان أول رئيس للجامعة المصرية .

وأنا حين أقول « الجامعة المصرية » ، لا أريد « جامعة فؤاد الأول» بالقاهرة ، ولا «جامعة فاروق الأول» بالأسكندرية ، وإنما أعنى «الجامعة المصرية» التى تنتظم هاتين الجامعتين ، وما سيُنشأ من جامعات فى مدائن الشمال ومدائن الجنوب: كالمنصورة وأسيوط .

والحال كذلك فى غير مصر ، فالفرنسيون يقولون « الجامعة الفرنسية » حين يريدون المعنى الجامعى بلا تقييد ، فإذا أرادوا التخصيص قالوا : « جامعة باريس » و « جامعة ليون » إلى آخر ما هنالك من جامعات

والمسابقة الجامعية التى أقرتها وزارة المعارف ، لا تخص جامعة فؤاد الأول ، ولا جامعة فاروق الأول ، وإنما تعمّ جامعة القاهرة وجامعة الأسكندرية ، فهى إذاً مسابقة « الجامعة المصرية »

موضوع هذه الدراسات

ويجب أيضاً أن نحدد الغرض من هذه الدراسات فنقول :

هو أولاً توجيه لطلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية ، وهو ثانياً تلخيص لطائفة من آثار الأدب الحديث

ولكن كيف نجمع بين هاتين الفائدتين ؟ وكيف نسلك مسلك « التحبيب » ، وهو منهج من مناهج أسلافنا الفضلاء ؟

يجب أن يكون مفهوماً أن هذه الدراسات موجهة إلى جميع القراء ، وإن كان الغرض منها توجيه طلبة السنة الخامسة الثانوية إلى الاستفادة من مسابقة الجامعة المصرية ، وذلك يوجب أن ننظر فى تلك المؤلفات بترفق وتلطف ، بحيث يمكن جذب الطلبة والجمهور إلى إدراك ما فيها من مقاصد وآراء بدون تزيد وبدون

وأما فى الآخرة فحسبك هذه الآية من آيات : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار »

ذلكم الإحسان الذى يدعو إليه القرآن ، وذلكم جزاؤه فى الدنيا والآخرة . على الإنسان أن يحسن ما استطاع ولا جناح عليه بعد إحسانه أن يستمتع بالطيبات من الرزق فى هذه الحياة . وأن يبلغ من هذه الدنيا ما يشاء ! وقد تلوت أنت هذه الآية :

« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين »

وهذه آية أخرى جامعة :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين »

ذلكم هدى القرآن فى الإحسان ، وقد جاء فى السنة حديث جامع : « إن الله كتب عليكم الإحسان فى كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » يعنى إذا لم يكن بد من قتل إنسان قصاصاً فليقتل قتلة حسنة لا مثلة فيها ولا تعذيب؛ وإذا ذبحتم الحيوان فاذبحوه بأحسن وسيلة ، الوسيلة التى تؤدى إلى المقصود دون تعذيب كذلك

وبهذا الهدى سار المسلمون الأولون ، فأحسنوا أقوالهم وأفعالهم وأحسنوا إلى الناس وبالغوا فى الإحسان والإنفاق فنالوا جزاء المحسنين من السيطرة على الدنيا بالحق والسعادة بها وحسن الجزاء فى الآخرة

وإن فيهم لأسوة حسنة للمتخلفين من بعدهم ، فليجدوا فى الإحسان ولينافسوا فيه . ليحرصوا على الإحسان فى العلم والمعرفة والقول والعمل وفى كل صنعة وكل نظام تستقيم به أمور الناس على هذه الأرض ، فقد دعا الإسلام إلى الإحسان كاملاً عاماً شاملاً .

ومن أخلق من المسلمين بإجابة هذه الدعوة ؟

عبد الوهاب عزام

إسراف ، فما يجوز أن نصف كتاباً بما ليس فيه ، أو أن نحمّل مؤلفاً ما لا يطيق

تنبيه بغرض منهج الدرس

ليس الغرض من هذه الدراسات أن يرجع إليها الطالب قُبَيل المسابقة بيوم أو يومين ، وإنما الغرض هو توجيهه إلى الاستفادة من تلك المؤلفات ، فهو مسئول عن مراجعتها فصلاً فصلاً وجملة جملة ليدرك بنفسه أغراض المؤلفين ؛ فإن لم يفعل فهو متواكلٌ مخذول ، ولن يظفر من المسابقة بشيء ؛ ولو كنتُ أتوهم أن طلبة السنة التوجيهية سيستغنون بهذه الدراسات عن المراجعة والاستقصاء لطويتها عنهم ، فما أحب أن يكون في شباب اليوم من يغنيه الوصف عن تعرف حقيقة الموصوف

قراءة الناقد وقراءة المستفيد

تنقسم القراءة إلى قسمين : قراءة فهم واستفادة ، وقراءة نقد واستقصاء

فما قراءة الطالب لهذه المؤلفات ؟

يجب أن تكون القراءة الأولى — أو القراءات الأولى — قراءة فهم واستفادة ، بحيث يهتم القارئ أولاً وقبل كل شيء بتفهّم أغراض المؤلفين والانتفاع بما يحاولون من مشكلات ، وما يعرضون من آراء ، فإذا انتهى من ذلك وتفهّم الكتابَ تفهماً صحيحاً رجع إليه فقرأه من جديد قراءة النقد والاستقصاء ، والمراد من النقد هو التعرف إلى نفسية المؤلف وإدراك ما في أقواله وآرائه من قوة وضعف ، وصحة وبُطلان ؛ والمراد من الاستقصاء هو ربط أفكار المؤلف بما سبق للقارئ الاطلاع عليه من أفكار الباحثين ، لتصح له الموازنات بين القراءات القديمة والقراءات الجديدة بصورة تقنعه بأنه تحرر من سيطرة المؤلف واطمأن إلى قدرته على المفاضلة بين رأي ورأي وأسلوب وأسلوب

وإذا انتفع الطالب بهذا التوجيه فسيفوز حتماً وسيخرج بمحصول نفيس يكون من أنفع ذخائره الأدبية في الحياة الجامعية . والله عز شأنه هو الموفق

فيض الخاطر

ونبدأ هذه السلسلة بدراسة كتاب « فيض الخاطر » لحضرة الأستاذ أحمد أمين عميد كلية الآداب ، والمقرر للمسابقة هو الجزء الأول فقط ، فإذا استطاع الطالب أن ينظر في الجزء الثاني أيضاً وأن يأخذ عنه فكرة مجملة كان ذلك أبلغ في الإحاطة باتجاهات المؤلف ومعرفة ما يعتلج في نفسه من أفكار وآراء

نشر الجزء الأول سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م وهو يقع في ستين وثلثمائة صفحة بالقِطع المتوسط (إلى أن نضع تحديداً دقيقاً لما يسميه الفرنسيون Format)

والمؤلف يصوّر محتويات كتابه فيقول إنه « مجموع مقالات أدبية واجتماعية » نُشر بعضها في « الرسالة » وبعضها في « الهلال » وبعضُها لم يُنشر في هذه ولا تلك »

ومقالات الكتاب تُعَدّ بالعشرات ، أو هي بالضبط اثنتان وسبعون مقالة ، وقد وُضِعت في أماكنها من الكتاب بدون ترتيب ، لأن الترتيب لم يكن ملحوظاً في إنشاء هذه المقالات ، وقد وضعت أيضاً بدون تاريخ ، لأن المناسبات لم تكن ملحوظة ، فهي آراء يتصل بعضها بالعصر الجديد وبعضها بالعصر القديم ، بدون التفات إلى روابط التاريخ

ومع هذا التلطف في الاعتذار عن المؤلف فقد كنا نحبّ أن يؤرخ تلك المقالات ، لأن منهج التأليف يوجب ذلك ، ولأن الباحث قد يحتاج إلى تواريخ تلك المقالات بعد حين

الأسلوب

يتفق الأستاذ أحمد أمين في أحيان كثيرة أن يقول إنه يراعي في أسلوبه ذوق العصر ، كالذي صنع منذ أكثر من عشرين سنة يوم نشر كتاب « الأخلاق » ، وكالذي صنع في مقدمة « فيض الخاطر » حين قال : « وخير أسلوب عندي ما أدى أكثر ما يمكن من أفكار وعواطف في أقل ما يمكن من عُسر وغموض والتواء ، وراعك بجمال معانيه أكثر مما شغلك بزينة لفظه ، وكان كالغانية تستغني بطبيعة جمالها عن كثرة حليها »

وهذا القول يشهد بشعور المؤلف بأن أسلوبه خالٍ من الزُّخرف والبريق والرُّواء ، وبأنه لا يعوّل على جمال الألفاظ ، وإنما يعوّل على جمال المعاني

والأمر كذلك في أسلوب الأستاذ أحمد أمين ، فهو يكتب كما يتحدث ، بلا عُسر ولا غموض ، ولا يهمّه حين يؤدي المعنى تأدية واضحة أن يقال إن أسلوبه ليس بالأسلوب الرشيق ، وقد يتفق له أن ينقل العبارة الواحدة من موضوع إلى موضوع حين يراها تصل به إلى ما يريد ، كعبارة « رُواء في العين ، ولا شيء في اليدين » فقد كررها بلفظها في معرضين مختلفين ،

وقد يأنس بتعابير العوامّ حين يراها تؤدى الغرض المقصود ، كأن يقول : « وراحتْ أيام ، وجاءت أيام » وهو مع ذلك ينقل بعض تعابير القدماء إلى كلامه من حين إلى حين ؛ كأن يقول في سياق أحد الأحاديث « تجيئك بجماءة وقليل ماء »

أسلوب أحمد أمين ليس بالأسلوب الرشيق ، وأحمد أمين ليس من « دهاقين الكلام » كما كان يعبّر القدماء ، ولا عبرة باعتقاده بأن المهمّ هو المعانى ، ولا قيمة للغض من الزخرف والبريق والرُّواء ، لأنها عناصر أساسية من الأسلوب الجميل

ولكن يجب الاعتراف بأن أسلوب أحمد أمين له شخصية تتميز بالسهولة والوضوح ، فهو يعبّر عن ذات نفسه تعبيراً صحيحاً ، وهو يُقنـع وإن كان لا يَفتن ، لأنه يبغى الإقناع ولا يَنشُد الفُتُون ، وليس ما وصل إليه بالمغنم القليل

موضوعات الكتاب

فى كتاب « فيض الخاطر » موضوعات أدبية واجتماعية ، وبعض الموضوعات الأدبية تراجم لرجال أَنِس بذكراهم المؤلف ، كترجمة أبى مِحجَن الثقفى ، وفى هذه الترجمة تحدث المؤلف عن « الطائف » فى الجاهلية والإسلام حديثاً ظريفاً ، وكان أكبر همه أن يُبيِّن قيمة الشخصية الخُلقية لشاعر لا ينتهى عن الخمر إلا حين تُصبح له من المباحات بفضل ما أبلى فى الحروب . والنظر فى هذه الترجمة ينفع ، لأن فيها معارف تاريخية وجغرافية ، ولأنها تصور حرص المؤلف على التنويه بقيمة الاعتزاز بالنفس فى بناء الشخصية الخلقية

وأبو محجن هو الشاعر الذى تعقّبه عمر بن الخطاب بالنفى والتشريد لهذين البيتين :

إذا مت فادفنّى إلى جنب كَرمةٍ
تروّى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفنّنى فى الفـلاة فإننى
أخاف إذا ما مُتّ أن لا أذوقها

وهنا يقول المؤلف : « ويشاء قاصّ من الظرفاء فيروى أنه رأى قبره بنواحى أذربيجان أو جرجان وقد نبتت عليه ثلاث كروم قد طالت وأثمرت واعترشت »

ونقول إنه لا موجب لعبارة « قاصّ من الظرفاء » التى تفيد الكذب والاختراع ، فليس من المستبعَد أن يحقق العرب مثل هذه الوصية ، وكان من خير المدح عندهم أن يكون الرجل « يشرِّبُ خمر مِسْمَراً لحروب » وقد صُقِلَتْ أذواقهم بالانتقال إلى فارس وطن الأعناب والصهباء ، وهل يكثُر على العرب أن يصنعوا مع قبر أبى محجن ما صنع الفرنسيون مع قبر ميسّيه وما صنع الفرس مع قبر الخيّام ؟

العرب أظرف مما يتوهم الأستاذ أحمد أمين ، و « القاصُّ الظريف » لم يقل ما قال إلا استجابة لما فُطر عليه العرب من الظَّرف فى رعاية حقوق الشعراء

وفى كتاب « فيض الخاطر » ترجمة للأحنف بن قيس ، وهى ترجمة نفيسة جداً ، ويجب على الطالب أن ينظر فيها بعناية ، فقد تفيد فى الإجابات التحريرية أو الشفوية ، لأنها بالفعل من أطايب هذا الكتاب ، والأستاذ أحمد أمين يجيد حين يتعرض لموضوع وُجدتْ عناصره الأصيلة فى كتب القدماء

وفيه ترجمة لسيبويه المصرى ، وفى هذه الترجمة فكاهة وأدب وتاريخ ، وهى جديرة بالالتفات

ويتصل بهذا النوع ترجمته للّون الأصفر فى العصر العباسى وهى نبذة طريفة تصور جانباً من الذوق الاجتماعى فى ذلك العهد والأذواق تُترجَم كما يترجَم الأشخاص !

أما التراجم الحديثة فأهمها ترجمة عاطف بركات وترجمة على فوزى ، وقد أجاد الكاتب فى هاتين الترجمتين ، وإن كان انحرف بعض الانحراف فى الترجمة الثانية ، لأنه صور فرار على فوزى من المجتمع المصرى بصورة العقل ، ولو أراد الحق لعدّ ذلك الفرار من صور الجنون ، وعذر المؤلف أنه أراد الترفق بأستاذه وهو يرثيه ، وإلا فكيف يكون الانصراف عن الزواج رحمة بالمرأة وهى لا ترى الأمان إلا فى رحاب الزواج ؟

إن الكاتب حبّر هذه المقالة فى لحظة غضب على المجتمع ، وبذلك استجاز أن يرى الانسحاب من ميدان الجهاد دليلاً على رجاحة العقل ، ولو أنه كتب هذه المقالة فى لحظة هدوء لرأى أن تصرف المرحوم على فوزى بك لم يكن إلا تصرف رجل مريض صدّه المرض عن الاضطلاع بأعباء الأسرة ، وصرفه عن المشاركة فى النهوض بالواجبات الوطنية

وعلى ذلك تكون هذه المقالة من الأدب الذاتىّ ، وهو الأدب الذى يصوّر الكاتب قبل أن يصوّر المجتمع ، وهى مقالة لها تفاسير فى أدب الأستاذ أحمد أمين ، فقد شهد على نفسه فى كتابه هذا بأنه قليل الضحك كثير البكاء ، وذلك سر نجاحه كاتباً ، لأن

الأمم التي تعاني الاضطهاد ، أو تتوهم أنها تعاني الاضطهاد تميل إلى الكاتب الذي يكثر من شرح معاني الضجر والاكتئاب

وننتهز هذه الفرصة فنشير إلى المقال الذي عنوانه «الضحك» والمقال الذي عنوانه «سيِّدنا» فهما يصوران شقاء الكاتب بالناس والزمان ، فقد ضربه معلمه في الطفولة ضرباً قاسياً عنيفاً ، ضربه ضرباً قضى بأن يستريح في المنزل نحو أسبوعين ، والذي يواجه بأمثال هذه المكاره وهو في طهارة الطفولة لا يرى الناس إلا قطعاناً من ضاريات الذئاب

ولم يفت الأستاذ أحمد أمين أن يعقب على ذلك السلوك الفظيع من معلمي الأطفال ، فقد عدَّه رياضة على تحمل مكاره الحياة ، ولعله صدق ، فقد قام الدليل على أن الخوف من المجتمع هو أنجع الوسائل في الانتصار على المجتمع

وهذه النظرة تفسِّر ما يغلب على كتابات الأستاذ أحمد أمين من الميل إلى الجدّ الصِّرف ، واستهانته بالأزهار البواسم في رياض الآداب والفنون ، كالذي وقع في مقال «أدب القوة وأدب الضعف» وهو مقالٌ جيِّد من حيث التصوير لنفسيته الذاتية ، وهي نفسية الرجل الذي صرَّح في مقالة «الموت والحياة» بأنَّ الأمر في السعادة إلى ما في داخل النفس لا في خارجها ، وأن في الدنيا نفوساً قد تشقى في النعيم ونفوساً قد تسعد في الشقاء

وكذلك نرجو أن يفطن طلبة السنة التوجيهية وهم يقرأون كتاب «فيض الخاطر» إلى أن المؤلف أديب يصوِّر لواعج نفسه قبل أن يصور بلايا المجتمع ، وإذا كان أحمد أمين قد نجح نجاحاً ملحوظاً في حياته الأدبية والفلسفية ، فهو نجاح السبَّاح الماهر الذي عانى ويلات الخطوب وهو يقارع الأمواج في ليلة داجية مُثقلة الحواشي بالعواصف والأنواء

ونخرج من هذا بأن أحمد أمين لم يكن مرائياً في قَصْر أدبه على الجدّ الصِّرف ، فهو في حقيقة الأمر رجلٌ حزين ، وإن كان يستريح إلى أحاديث الدعابة والمجون حين يخلو إلى أصدقائه الخواص ، وهل يستريح إلى الدعابة إلا الرجل المكروب ؟

إن هذا الرجل أعلن في كتابه أنه يتشهَّى ضحكة قوية يمسك منها صدره ، ويفحص منها الأرض برجليه ، ضحكة تملأ شدقيه ، وتُبدي ناجذيه ، وتفرِّج كربه الأليم ، وتكشف همه المقيم . ولكن تلك الضحكة القوية لن تتاح لمن كان في مثل حاله من الحرص على الوقار والتزمُّت ، والخضوع لأهواء المجتمع البليد الذي يرى المرح من عيوب الرجال

وهنا أذكر نكتة قصَّها رجلٌ سخيف ، رجلٌ لا يؤمن بأن الشيخ محمد عبده كان من العظماء ، لأنه شهده مرة وهو يضحك بقوة وعنف كما يضحك الأطفال

والنكتة هي ضحك الشيخ «محمد عبده» بتلك القوة وبذلك العنف ، والعظيم عظيم في كل شيء حتى في الهزل والمجون ، وكان محمد عبده عظيماً في الجد وعظيماً في المزاح ، ولن تكمُل الشخصية الإنسانية إلا إذا استوفت معاني المرارة والحلاوة والقسوة واللين

قال الراوي : كان محمد عبده يضحك ضحكا ينافي وقار العلماء

وأقول إن محمد عبده لم يكن واحداً من العلماء ، وإنما كان أوحد العلماء ، وللأوحد مزايا لا يتمتع بها الآحاد

وقد أخبرنا الأستاذ «أحمد أمين» في كتابه أنه سيحاول الضحك ، فهل ضحك ؟ كتب الله لي وله نعمة القدرة على الاستهانة بمكايد الناس ومكاره الزمان !

أما بعد فني كتاب «فيض الخاطر» مقالات تخصها بالجد بلا تحفظ ، وندعو الطلبة إلى فهمها بعناية وحرص ، كمقالة «عدو الديموقراطية» وهي من أبدع ما كتب أحمد أمين ، ومقالة «الإشباع» وهي مقالة رفضتُ النظر إليها في الكتاب ، لأني فوجئت بها في مجلة الرسالة وأنا راجع من فرنسا في صيف سنة ١٩٣٣ فكان لها تاريخ في تحديد ما بيني وبين الأستاذ أحمد أمين ، ومع طول العهد ومع النُّفرة من مراجعة هذه المقالة فأنا أعتقد أنها من غُرر الأدب الحديث ، وقد كُتبتْ هذه المقالة في لحظة من «لحظات التجلي» وهو عنوان لمقال طريف وُفِّق الكاتب في فقراته الختامية إلى معانٍ لا تَصدُر إلا عن رجل موهوب ، وأحمد أمين في بعض ما يكتب رجلٌ موهوب

وهنالك مقال «الحلقة المفقودة» وهو مقالٌ صادق ، وقد كان له تأثير في بعض البيئات العلمية ، والكاتب الحق هو الذي ينقل الفكر من حال إلى أحوال ، ويعكر صفو الآمنين من حين إلى حين

ثم أما بعد فكتاب «فيض الخاطر» هو صور ذوقية وأدبية واجتماعية لرجل محترم يعاديه قومٌ ويصادقه أقوام ، رجل له أهل وأبناء وأصدقاء وأعداء ، ومن كان كذلك فهو خليق بأن يفهم سرائر المجتمع كل الفهم أو بعض الفهم ، وهو جدير بأن يُنصب لآرائه ميزان

في الاجتماع اللغوي

اللهجات المحليـــــة

للدكتور علي عبد الواحد وافي
مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تقضي القوانين الخاضع لها تطور اللغات أن تختلف اللهجات في الأمة الواحدة تبعاً لاختلاف أقاليمها وما يحيط بكل إقليم منها من ظروف وما يمتاز به من خصائص. وقد جرت العادة أن يطلق على هذا النوع من اللهجات اسم اللهجات المحلية Dialectes locaux وتختلف هذه اللهجات بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً في المساحة التي يشغلها كل منها: فمنها ما يشغل مقاطعة كاملة من مقاطعات الدولة؛ ومنها ما تضيق منطقته فلا يشمل إلا بضع قرى متقاربة؛ ومنها ما يكون وسطاً بين هـذا وذاك. وكثيراً ما تختلف هذه المناطق اللغوية في حدودها عن المناطق المصطلح عليها في التقسيم الإداري والسياسي. فقد تقسم القرى التي تتألف منها منطقة لغوية واحدة بين مديريتين أو أكثر؛ وقد يجتمع في مديرية واحدة أو مركز واحد عدد كبير من المناطق اللغوية. ولدينا نحن المصريين على ذلك شواهد كثيرة في مختلف أقاليم الصعيد والوجه البحري

وتعمل كل لهجة من اللهجات المحلية على الاحتفاظ بشخصيتها وكيانها، فلا تدخر وسعاً في محاربة عوامل الابتداع والتغيير في داخل منطقتها، ولا تألو جهداً في درء ما يوجه إليها من خارجها من هجمات. فاللغة نظام اجتماعي، وكل نظام اجتماعي يحمل في طيه قوة المقاومة والقهر، على حد تعبير العلامة دوركايم Durkheim

أما محاربة عوامل الابتـداع في داخل منطقتها فتتم بفضل العلاقات الوثيقة التي تربط الناطقين بها بعضهم ببعض وتربطهم ببيئتهم ومجتمعهم. وذلك أنه بقوة هذه العلاقات يقوى الضمير الجمعي، وتتأكد سيطرة النظم الاجتماعية، ويعظم نفوذها، ويشتد بطشها بالمعتدين. فكل محاولة فردية للخروج على النظام اللغوي تاتي في مجتمع كهذا مقاومة عنيفة تكفل القضاء عليها في مهدها. وبذلك تتقي اللهجة ما عسى أن يوجه إليها في داخل منطقتها من محاولات الابتداع وعوامل التغيير

وأما حمايتها من اللهجات المجاورة لها فيرجع الفضل فيها إلى ضعف الصلات التي تربط أهلها بمجاوريهم، وقلة فرص احتكاكهم بهم، وما يبدونه في العادة من نزوع إلى العزلة والاستقلال. ويظهر هذا على الأخص في البيئات الزراعية التي تقل فيها وسائل المواصلات، وتضعف حركة انتقال الأفراد، ويكاد سكان كل منطقة يعيشون في معزل عن سكان المناطق الأخرى. حقاً إن تزوج بعض الرجال في هذه البيئات إلى نساء من غير مناطقهم، وهجرة بعض الأفراد من بلادهم إلى البلاد المجاورة لها، كل ذلك وما إليه يجلب إلى البلد عناصر أجنبية عنه. ولكن قلة عدد من ينفذ من الأجانب عن هذه الطرق وما شاكلها وانتماءهم في الأصل إلى مناطق لغوية مختلفة، ودخولهم البلد فرادى وفي أزمنة متباعدة، وعدم وجود رابطة تربطهم بعضهم ببعض، وإقامة كل منهم بين مجموعة من الناس تختلف لهجة أفرادها عن لهجته، وما يبديه أهل المنطقة حيال لهجاتهم من سخرية وازدراء، وصعوبة فهم حديثهم أحياناً، كل ذلك وما إليه لا يحول دون تأثر لهجة البلد بلهجاتهم فحسب، بل من شأنه كذلك أن يحملهم هم على محاكاة لسان المنطقة التي يقيمون فيها. وأما البيئات التجارية والصناعية والساحلية التي يكثر

أحمد أمين يمثل صورة الرجل المسئول، والرجل المسئول مسكين مسكين، هو مسئول أمام أهله وأبنائه وأصدقائه وأعدائه، وهو مسئول أمام تلاميذه بكلية الآداب، وقد كففت عنه قلمي منذ اليوم الذي عُيِّن فيه عميداً لكلية الآداب، لأن النقض من عميد تلك الكلية خروج على ما لها في عنق من عهود ومواثيق

ومعنى ذلك أنني أحب أن يقرأ طلبة السنة التوجيهية كتاب «فيض الخاطر» بتدبر وإمعان، لأنه حقاً وصدقاً كتاب نفيس، ولأنه صورة لرجل كريم لم يأخذ عليه خصومه غير هنوات لا تغض من أقدار الرجال، ومن الدليل على كمال الرجولة أن يكون فيها ما يعاب، لأن الرجولة الحق مزاج من الرشد والغي والهدى والضلال

ثم ماذا؟ ثم أنتقل إلى كتاب «وحي الرسالة» يمثل هذا الأسلوب من الصدق في تشريح أغراض المؤلفين، وأنا أرجو أن يقبل طلبة السنة التوجيهية على هذه المؤلفات بشغف وشوق، ليكونوا برعاية الله أنصاراً أوفياء الأدب الحديث.

زكي مبارك

فى المادة احتكاك أهلها بغيرهم ، فيرجع الفضل فى حماية لهجاتها إلى قلة عدد الأجانب بالنسبة إلى سكانها الأصليين ، وانتمائهم إلى مناطق لغوية مختلفة ، وعدم وجود رابطة تربطهم بعضهم ببعض ، وقصر مدة إقامتهم ، لأن معظمهم يفد إلى البلد فى شئون لا تقتضيه إلا إقامة ساعات أو أيام

غير أنه قد يتاح أحياناً للهجة محلية فرص للاحتكاك الدائم بلهجة أخرى . وحينئذ تشتبك اللهجتان فى صراع أهلى لا يختلف كثيراً فى مظاهره وطرقه عن الصراع الذى ينشب بين لغتين مختلفتين والذى عالجناه فى مقالات سابقة فى الرسالة[1]

وينتهى هذا الصراع إلى إحدى نتيجتين : فأحياناً لا تكاد إحدى اللهجتين تؤثر فى الأخرى ، وذلك إذا تساوى أهل المنطقتين فى الثقافة والقوة والنفوذ . وأحياناً تكون إحداهما عرضة للتأثر بالأخرى ، وذلك إذا كانت أقل منها فى مظهر من المظاهر السابقة . وتختلف درجة التأثر باختلاف الأحوال : فأحياناً يكون يسيراً لا ينال إلا بعض مظاهر ، وأحياناً يكون عميقاً ينتهى بالقضاء على اللهجة المغلوبة

فيكون يسيراً إذا لم تكن الفوارق كبيرة بين أهل المنطقتين فى الثقافة والنفوذ والسلطان . ويبدو هذا فى تأثر لهجة القرى بلهجة المدينة التى تجاورها أو يكون بها مقر المديرية أو المركز ، أو فى تأثرها بلهجة البلد الذى يتخذ مقراً لنقطة البوليس أو للعمدة أو التى يقام فيها السوق الأسبوعى ... وهلم جرا . ففى هذه الحالات وما إليها يقف التأثر عند حد اقتباس الكلمات والتراكيب وطرق استخدام المفردات فى معانيها الحقيقية والمجازية ... وما إلى ذلك . أما الأساليب الصوتية وطريقة النطق بالحروف والكلمات فتظل بمنجاة من التأثر والتحريف . ومن ثم نرى أن القرى المحيطة بقاعدة مديرية من مديريات القطر المصرى قد تقتبس عنها كثيراً من ألفاظها وتراكيبها ومدلولات مفرداتها ... ، ولكن لهجاتها تظل سليمة فيما يتعلق بالأصوات ، وطريقة النطق بالكلمات . فالقرى المصرية التى تقلب فى لهجاتها القاف العربية (جافا) أى جيا غير معطشة (جلنا = قلنا) قد تجاور مثلاً مدينة تختلف عنها فى هذا الأسلوب الصوتى (بأن تقلب فيها القاف العربية همزة: ألنا = قلنا) ، فتقتبس عنها كثيراً من مفرداتها ، ودلالاتها وأساليبها؛ ولكن تظل طريقتها الصوتية حيال القاف العربية بمأمن

من التأثر بطريقة المدينة ، اللهم إلا فى الكلمات التى تقتبسها منها

أما إذا كانت الفوارق كبيرة بين أهل المنطقتين فى ناحية من النواحى السابق ذكرها ، فإن التأثر يكون عميقاً لدرجة تصل أحياناً إلى القضاء على اللهجة المغلوبة . ويحدث هذا فى حالتين :

الحالة الأولى : أن تكون إحدى المنطقتين خاضعة لسلطان المنطقة الأخرى ، ففى هذه الحالة يكتب النصر للهجة المنطقة ذات السلطان ، على شريطة ألا تقل عن المنطقة الأخرى حضارة وثقافة وآداباً . والأمثلة على ذلك كثيرة فى التاريخ القديم والحديث . فلهجة باريس حيث كان مقر الحكومة والسلطان ، قد قضت على كثير من لهجات المقاطعات الفرنسية التى خضعت لنفوذ باريس ؛ وكذلك فعلت لهجة لندن مع عدد كبير من اللهجات الإنجليزية الأخرى، ولهجة مدريد مع اللهجات الإسبانية، ولهجة روما فى العصور القديمة مع أخواتها الإيطالية؛ ولهجة قريش قبيل الإسلام مع اللهجات المضرية الأخرى ... وهلم جرا ...

الحالة الثانية : أن تفوق إحدى المنطقتين المنطقة الأخرى فى ثقافتها وحضارتها وآداب لغتها ، ففى هذه الحالة يكتب النصر للهجتها وإن لم يكن لها سلطان سياسى على المنطقة الأخرى . ولذلك أخذت اللهجة السكسونية بألمانيا تطارد اللهجات الألمانية الأخرى منذ القرن السادس عشر الميلادى ، أى قبل أن تتكون الدولة الألمانية الحديثة وقبل أن تظهر غلبة برلين[1] . وأخذت التوسكانية Toscan بإيطاليا تقهر اللهجات الإيطالية الأخرى منذ القرن الرابع عشر الميلادى ، أى قبل أن تتكون الدولة الإيطالية الحديثة ، وقبل أن يظهر سلطان روما[2] ؛ وذلك بفضل ما كان لكل من السكسونية والتوسكانية من إنتاج أدبى لا يذكر بجانبه إنتاج أخواتها التى اشتبكت معها فى هذا الصراع

وفى كلتا الحالتين السابقتين يختلف الصراع فى مدته وعنفه تبعاً لمبلغ قرب اللهجتين إحداهما من الأخرى ومبلغ ثقافة المنطقة المغلوبة . فيطول أمده ويشتد عنفه كلما كثرت وجوه الخلف بين اللهجتين أو قلت ثقافة الناطقين باللهجة المقهورة . فلهجة مدريد لم تقو بعد على التغلب على كثير من اللهجات الأسبانية الأخرى ولا تزال إلى الآن تلقى مقاومة عنيفة من جانبها ، وذلك لتفشى الجهل والأمية بين الناطقين بهذه اللهجات ، ولهذا السبب نفسه

(١) أنظر أعداد ٣٤٧ و ٣٤٩ و ٣٥١

(١) على أن برلين لم تكن مهد السكسونية ، بل انتقلت إليها كما انتقلت إلى غيرها (٢) على أن روما لم تكن مهد الايطالية الحديثة ، بل انتقلت إليها كما انتقلت إلى غيرها

الانتحار وعلاقته بالشخصية

للدكتور محمد حسني ولاية

حفزني إلى تناول هذا الموضوع الاجتماعي الهام انتحار عالمين من علمائنا هما الدكتور اسماعيل أدهم ، والأستاذ فخري أبو السعود . وقبل أن أبين العلاقة بين الشخصية والميل إلى الانتحار أقول إن بعض علماء النفس والعقل يميلون إلى تقسيم الشخصيات البشرية « الطبيعية » إلى سبعة أقسام اختيارية على غرار الأمراض العقلية والنفسية الرئيسية

الشخصيات :

١ — الشخصية الهوسية : يمتاز صاحبها بالنشاط والحركة المستمرة والاعتداد بالذات ، وهي تنطوي على كفاح بين الذات والضمير .

٢ — الشخصية اللانخولية : تتصف بالهبوط النفساني ، والكسل واليأس ، واتهام النفس ، واستحواذ الأفكار السوداء على صاحبها . وتمتاز أيضاً بكفاح بين الذات والضمير .

يقول فرويد إن محتويات الهوس النفسانية لا تختلف في شيء عن محتويات اللانخوليا ، وإن الشخص في كلا الحالين يصارع نفس العقد Complex وإن الذات تستسلم لهذا العقد في حالة اللانخوليا ولكنها تسيطر عليه أو تطرحه جانباً في حالة الهوس

٣ — الشخصية الوسواسية : يميل صاحبها إلى حسن الهندام والذوق السليم ، ولكنه كثير التردد ضعيف الإرادة . وينطوي الوسواس على كفاح بين الذات ومستقر الغرائز الجنسية في العقل الباطن

٤ — الشخصية الهستيرية : تمتاز بتركيز الاهتمام على الذات egocentricity والأنانية الشديدة ، والاعتماد على معونة الغير . وتنشأ التصرفات الهستيرية من كفاح بين الذات ومستقر الغرائز الجنسية في العقل الباطن

لم يتم بعد للهجة القاهرة التغلب على لهجات المناطق المصرية المجاورة لها ، وفي القسم الفرنسي اللغة من سويسرا لا تزال اللهجات المحلية تقاوم الفرنسية الفصحى في المناطق الكاثوليكية (فاليه ، فريبورج Valais, Fribourg) ؛ على حين أنه قد تم انقراض هذه اللهجات أو كاد في المناطق البروتستانتية (نيوشاتل جنيف) وذلك لأن المناطق البروتستانتية من هذا القسم أرقى ثقافة وعلماً من المناطق الكاثوليكية وأقدم منها عهداً بالمدارس ، ولسان باريس قد تغلب بسهولة على اللهجات التي كانت منتشرة في إقليمي السين واللوار ، لقلة وجوه الخلف بينه وبينها ؛ على حين أنه لم يقو بعد على التغلب على لهجات جنوب فرنسا ولا يزال يلقى منها مقاومة عنيفة لكثرة الفروق التي تفصلها عنه

واللهجة التي يتاح لها التغلب في أمة ما على بقية أخواتها ، أو على معظمها تصبح غالباً « لغة الدولة » أو ما يطلق عليه اسم « اللغة القومية » أو « اللغة الفصحى » أو « لغة الكتابة » . فتعلم وحدها في مدارس الدولة ، ويجري بها تدريس المواد المختلفة في معاهدها ، وتؤلف بها الكتب والصحف والمجلات ، وتصدر بها المكاتبات الرسمية وغيرها ، وتستخدم في مختلف مناحي الوعظ والخطابة ، وتلقى بها الأوامر ويجري بها التخاطب في الجيش ، وهلم جرا [1] . فقد ترتب على تغلب لهجة باريس على معظم أخواتها أن أصبحت لغة الدولة بفرنسا ؛ وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللغة الفرنسية . وهذا هو ما حدث عقب تغلب لهجة لندن بانجلترا ولهجة مدريد بأسبانيا ، واللهجة السكسونية بألمانيا والتوسكانية بإيطاليا ؛ فقد أصبحت هذه اللهجات هي اللغات الرسمية ، وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللغات الإنجليزية والأسبانية والألمانية والإيطالية

وتسلك لغات الكتابة في تطورها طريقاً خاصة تختلف عن الطريق التي تسلكها لغات الحادثة . ولذلك ترى أن لغة الكتابة مع اتفاقها في المبدأ مع لهجة المحادثة الغالبة ، لا تلبث فيما بعد أن تختلف عنها في كثير من النواحي ، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينهما ، حتى تستقل كل منهما عن الأخرى . فلغة الكتابة بفرنسا مثلاً تختلف الآن عن لهجة المحادثة الباريسية اختلافاً غير يسير .

علي عبد الواحد وافي

(١) قد لا يكون للأمة أي لغة قومية مستقلة ، كما هو شأن النمسا ، فان لغتها هي الألمانية . وقد يكون للدولة أكثر من لغة رسمية واحدة ، كما هو شأن سويسرا ، فان بها ثلاث لغات رسمية : الألمانية والفرنسية والايطالية . وقد تكون اللغة الرسمية ولغة الكتابة في الأمة هي اللغة القديمة التي انشعبت منها لهجتها ، كما كان شأن اللاتينية بفرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال ورومانيا ، وكما هو شأن العربية الآن بمصر وبلاد العرب وشمال أفريقيا .

٥ — الشخصية القلقة: تتصف بالقلق، وتوجس الشر، وبلبلة الفكر، والخوف من المجهول

يقول فرويد ليس للقلق صفة محدودة لعدم تعلقه بموضوع ما. وهو وليد دفاع الذات ضد خطر غريزي غير معروف. وكثيراً ماتصبح الحاجة الغريزية خطراً داخلياً ويؤدي إشباعها إلى التماس خطر خارجي يمثله الخطر الداخلي، ولكي تتأثر الذات لا بد أن يتحول الخطر الخارجي الموضوعي إلى خطر داخلي غريزي

٦ — الشخصية البارانويادية: تمتاز بإساءة الظن بالناس وتوقع الشر منهم وبهواجس اضطهادية منظمة، وتنطوي على كفاح إيجابي بين الذات والبيئة

٧ — الشخصية الشيزية Schizoid personality: وتمتاز بالانزواء عن الناس والأنانية وانقطاع التعامل مع البيئة. وينتسب إليها كثيرون من الفلاسفة والأدباء. وتنطوي على كفاح سلبي بين الذات والبيئة

* * *

تبرز في كل إنسان «طبي» ناحية أو أكثر من هذه النواحي الشخصية. والواقع أن شخصياتنا تتكون من خليط متفاوت من هذه الوحدات الشخصية، وكلما ازداد تعدد جوانب الشخصية ازداد تعقدها وتعددت أمانيها

وأكثر الشخصيات التجاء إلى الانتحار الشخصيات القلقة والبارانويادية؛ أما أكثرها ميلاً إليه فهي الشخصيات اللانخولية والقلقة والبارانويادية وأحياناً الشخصيات الوسواسية

وكثيراً ما يحول الخمول المستحوذ على اللانخوليين وضعف الإرادة المتسلط على الموسوسين دون قتل نفوسهم. وإن أول ما يفكر فيه البارانويادون هو الانتقام من الناس فيقتلون الزعماء والعظماء بسبب الهواجس الاضطهادية، غير أنهم ينتهون إلى التماس الانتحار إذا غلب عليهم اليأس. ويندر أن يلجأ المستيريون إلى الانتحار، لأنهم يحبون أنفسهم حباً أنانياً ويحرصون على سلامة أنفسهم

يقول فرويد في صدد الانتحار «إن السادية Sadism هي التي تحل مشكلة النزعة إلى الانتحار. وقد أظهر التحليل أن الذات تعمد إلى الانتحار عند ما تنصب عليها طاقة موضوعية، وحينئذ تعالج الذات نفسها كموضوع object أي أنها توجه العداء الذي كان موجهاً إلى موضوع ما إلى نفسها»

إن الشخص الذي يميل إلى الانتحار شخص مريض، وهو في حاجة إلى العلاج النفسي ككل مريض بمرض عصبي، فتى ما حلت المعقدات النفسية Complexes وجب إعطاء المريض علاجاً عضوياً كالغدد الصماء والفيتامينات والأملاح المعدنية وغير ذلك لاستعادة النشاط الذهني

ويتصف الراغب في الانتحار ككل مريض بمرض عصبي بالمبالغة في الطموح وشدة الحساسية والتماس الأماني البعيدة المنال دون جهد، والعناد والأنانية

والسبب في أن كثيرين من كبار المفكرين يعمدون إلى الانتحار هو تعدد جوانب شخصياتهم وطموحهم الشديد وتلمسهم أهدافاً بعيدة المنال

ولا بد أن نبين أن إنهاك قوى العقل الواعي يؤدي إلى تقوية الباطن وظهوره على المسرح متحدياً العقل الواعي، وحينئذ تتحكم في النفس نزعات دفينة في العقل الباطن، قد تكون وجهتها التماس الموت

ولما كان للعقل الباطن علاقة وثيقة باتجاهات النفس ونزعاتها ونزواتها وتصرفاتها فقد رأيت أن أختم كلمتي بتفسير حلم رآه أحد مرضى العالم النفساني «يونج» قال:

«حلم رجل مثقف في الخمسين من العمر أنه حاول تسلق جبل عال فكان صعوده في أول الأمر شاقاً ولكنه كلما أمعن في الارتقاء كان التسلق أهون، وبعد أن بلغ القمة مشى في الفضاء ثم استيقظ

وبالتحري علمت أنه رجل متمرن على تسلق الجبال بدون مرشد وأنه يشعر بلذة عند ما يرى نفسه في موقف خطر، وقد كان عاثر الجد في زواجه مشمئزاً من عمله، وقد فسرت حلمه بالآتي:

عند ما كان متعلقاً بالحياة كان ارتقاء الجبل شاقاً إذ كانت تتنازعه رغبتان متضادتان: الرغبة الظاهرة في الحياة والرغبة الدفينة في الموت، ولكنه كلما أغرق في استسلامه لهواه صار لديه الصعود أسهل

ولم يكن سيره في الهواء سوى تعبير عن رغبته في الموت وقد هوى من قمة جبل ومات بعد مضي نصف عام من هذا»

محمد عوض دلاية
طبيب بصحة بلدية الاسكندرية

شـــعر الزواج (*)

للأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل

لعل « شعر الزواج » على هذا النهج موضوع جديد ، فإذا كان لكل جديد غرابة ، فقد تزول الغرابة بالبيان

يتناول الشاعر ، وسائر أهل الفنون ، حوادث حيواتهم بالشعر والتعبير . والزواج من أهم حوادث الحياة . فإذا تزوج شاعر يحسن الشعور بالزواج فكيف لا يكتب القصيد فى حياته الزوجية ؟ ! وإذا اقترن موسيقار فلماذا لا يشدو بقرانه ؟ »

ويباح للشاعر وصاحب الفن الجميل التغزل بالفتاة الصبيحة ، حتى نسب إلى أبى بكر الصديق أنه تغزل فقال[1] :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث
أرقت ، أو أمر فى العشيرة حادث ؟

وحتى أنشد كعب بن زهير النبى محمداً عليه الصلاة والسلام شعراً بدأه بالتغزل على عادة العرب فقال :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

فهـذا التغزل بالفتاة مباح للشعراء فكيف بالزوجة ؟ ! إن الزوجة أحق بالتغزل . ومن التغزل لائق وخليع . فللزوجة غزل لائق مهذب

هذا النقص فى شعر الزواج يسترعى النظر . فهل وجد معظم الشعراء وأهل الفنون زوجاتهم تافهات ؟ فإذا فرضنا هـذا فإن لكل جديد فرحة ولو كان تافهاً . على أن الزوجة التافهة قد لا تظهر تفاهتها سريعاً . والناس مختلفون فى غنى الشخصية . فقد تفرغ شخصية بعد أيام من الصحبة وتفرغ أخرى بعد أشهر ، على حين تفرغ أخرى بعد أعوام ، وغيرها لا تفرغ أبداً ما عاشت ثم بعد الممات . ففى فجر الحياة الزوجية تحس النفس المعبرة بتحية صادقة لهذى الحياة الجديدة . هذا منطق الشعور ، وتلك طبيعة الإحساس . فإذا ما جاشت النفس وسطر القلم العواطف ثم بدت الزوجة تافهة عز على صاحب الفن وأد فنه .

هنا يجب التفريق بين فن صادق وشىء خادع ألممه . فهذا (شلى) كتب قصيدة رائعة فى فتاة باهرة السطوح بائرة الدخائل ، ظهر زيفها قبل أن تتم القصيدة ! راحت فرحة الشاعر ، وضاع أمله ، وعراه الخجل ، وشابه الكدر ، ومع ذلك أبقى على القصيدة وعاشت وخلدت وعلى رأسها إهـداء تبطنته سخرية الحق من فطنة الإنسان !

فى الحق أن نقص شعر الزواج يسترعى النظر !

لقد آن أن يكون أدب دارى جنب ذاك الأدب الطليق من كل قيد اجتماعى . آن إنصاف الحليلة . آن أن ينصف الشعراء أنفسهم من ظنة حب ما لا يملكون ومقت ما يملكون لأنهم يملكونه كما يكثر بين البلداء والجهلاء والعامة

* * *

وللزواج نصيب عند شعراء أوربا فى الأساطير والشعر الكلاسيك . غير أنه نصيب غير كاف وغير شامل عند شاعر واحد فيما أعلم

وله نصيب عند المثقفين

فمن الأساطير هذه القصيدة :

« أخيراً أتاها بيتاً كريماً ، ظلة منزلية ، والعرش غير بعيد من الأرض ، مصنوع من القصب والقش معاً . عاش هناك بوسيس وفيليمون[1] ، وهناك عاشا زوجين طويلاً ، وزوجين سعيدين : والآن هما فى الحب قديمان ، مع أن ذخرهما ضئيل ، ... والأمر عدم ، حيث تبودل الحب التكافؤ ، أو الأصح أن كليهما أمر ، وكليهما أطاع ...

« هكذا حينئذ نظر رب الأرباب نظرات هادئة قائلاً : تمن يا واحد الرجال عدلاً ، وأنت يا امرأة وجدت وحدها جديرة بمثل هذا الرجل فى رباط زواج ......

« همسا هنيهة ؛ عندئذ كلما (جوف)[2] هكذا يفضل فيليمون دعاء وسالها . ولأن أى عمل فى حياتنا لم يدنسه النزاع الأهلى ، نسأل ساعة موت واحدة : فلا هى تبكينى بدموع

(*) مقدمة لكتاب ظهر حديثا عنوانه « أغاريد زفاف » للأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل . وسيكون هـذا الكتاب موضع تعليق من الرسالة فى عدد قادم .

(١) هناك من ينكر صحة نسبة هذا الشعر إلى أبى بكر رضى الله عنه . على أن الناظم العربى كان إذا لم يشبب عن صدق شبب عن تقليد

(١) Philfmon و Baucis

(٢) Jove

الأرملة إذا عاشت لتدفنني ، ولا أنا بذراعين واهنتين أحمل بوسيسى الهامدة إلى القبر باكياً

« وأشارت رؤوس الرب موافقة »

إلى أن قال بعد تحولها معاً إلى شجرتين مورقتين :

« ... سنديانة فارعة قرب زيزفونة تتموان ... »[١]

ومن الكلاسيك :

تزوج لورد تنيسون باميلي شلوود ، و « كان الزواج من كل النواحي ناجحاً ، وكان الشاعر يقول فيما تلا من حياته : حين تزوجتها نزل سلام الله على حياتي »[٢]

وقد نظم تنيسون شعراً عنوانه (صباح القران) جاء فيه :

« هنا للحب الختام الذهبي ، كل اختطابي قد فعل » إلى أن قال :

« لأن هذا للحب الصباح الذهبي ، وأنت نجم صباحه » حتى قال : « قلبي ، أأنت كافي العظمة لحب لا يكل ؟ أيها القلب ، أأنت للحب كافي العظمة ؟ فقد سمت بأوراد وأشواك »

وقد كان لورد تنيسون حيياً شديد الحياء ، وكان من الأرستقراط

اقترن شلي بهريت وستبروك ، وبعد عامين نظم فيها قصيدة عنوانها « مساء . إلى هريت » ختمها قائلاً : « كذلك كان محبك يا هريت . هل استطاع إطارة أفكار كل ما يجعل عاطفته عزيزة ؟ وينشد ثقوباً في نسيج سعادتنا الموصول عائداً بغير حس من مسك الدافىء ؟ »[٣]

وختم قصيدته « إلى أيانب » : « وأنت عزيزة أكثر حين تبدي خصائصك اللطيفة رسم جمال أمك »[٤]

ثم اقترن بماري جدوين ، ومضت سنوات ثلاث فنظم فيها حينئذ يقول بعنوان « إلى ماري شلي » :

« الدنيا موحشة ، وأنا تعب من تطويقي بدونك يا ماري ؛

« كان في صوتك وبسمك من قبل فرح . وقد ذهب ، يا ماري ، حين وجب ذهابي كذلك[٥] »

ونظم (إلى ماري شلي) يقول : « ماري العزيزة ، أين ذهبت وخلفتني وحدي في هذه الدنيا الموحشة ؟ في الحق هنا شخصك – شخص جميل – لكنك فررت منحدرة في الطريق الموحش

(١) Ovid, Metamorphoses Trans. John Dryden
(٢) Everyman's Encyc V. 12, p. 90
(٣) و (٤) Pœms written in 1819
(٥) Pœms written in 1819

المؤدى إلى أظلم منازل الشجن ... ...[١] »

وله غير ذلك في الزواج قصيدة متبوعة ولكنها عامة السياق وليست في زواجه

وكان شلي « جاداً على الهموم ، وكان مع ذلك قديراً على المزاح وكان كامل الأدب الذي هو طابع الأرستقراط الصغير[٢] »

وكان على حياء العذارى ، يتورد وجهه من القابلات أحياناً .

ومن المثقفين :

القائد الكبير الأرستقراطي فون هندنبرج ، يقول في سيرته :

« وجدت في زوجتي صاحبة محبة قاسمتني بولاء ودون ملل مسراتي وأحزاني ، ومهامي وأعمالي[٣] »

***

كذلك للزواج نصيب في الموسيقى الأوربية الكلاسيك .

فقد ألف الموسيقار تشرد شتراوس « السيمفونية الأهلية »[٤]

و « السيمفونية الأهلية إحدى كبريات قصائد شتراوس السيمفونية . وتمثل يوماً في حياته هو وقرينته وابنه الطفل[٥] »

وألف الموسيقار يوهان شتراوس « فالزاً » سماه « أجراس القران »[٦] أيام عرسه

أما نصيبه عند العرب فضئيل ، وهو على ضآلته شتيت

قال الحسين عليه السلام في امرأته الرباب وابنته سكينة وقد عاتبه أخوه الحسن عليه السلام في امرأته :

لعمرك إنني لأحب داراً … تحل بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالي … وليس للائمي عندي عتاب[٧]

وقال الحسن بن هانئ يحكي عن زوجته :

تقول التي من بيتها خف مركبي : … عزيز علينا أن نراك تسير
فقلت لها واستعجلتها بوادر … جرت فجرى في جريهن عبير

وهنا نوجع فنذكر من مراثي الزوجات والأزواج ، فإنه غزل حزين

(١) Pœms written in 1819
(٢) André Mrauois, Ariel, p. 106, Penguin
(٣) Hindenburg, Out of my Life, p. 40, Cassell, 1933
(٤) "Sinfonia Domestica„
(٥) Essays in Musical Analysis, Donald Français Tovey, Reid professor of music in The University of Edinburgh, VIII, p. 206, Oxford
(٦) Wedding Bells
(٧) ج ١ ص ٢٢ ؛ العمدة ١٩٣٤ ، ج ١ ص ١٨٤ ، وج ٢ ص ١٢١ ، الحيزة

قال الوزير الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات في زوجته حين ماتت :

يقول لي الخلان : لو زرت قبرها ... فقلت : وهل غير الفؤاد لها قبر ؟
على حين لم أحدث فأجهل قبرها ... ولم أبلغ السن التي معها الصبر

وقال جرير في قرينته :

لولا الحياء لهاجني استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

وقال الإمام عليّ في عقيلته السيدة فاطمة كريمة النبي وهو على قبرها :

قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ، ورقّ عنها تجلدي

و « رثت » الرباب بنت امرئ القيس زوجها الحسين عليه السلام حين قتل فقالت :

إن الذي كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون
سبطَ النبي ، جزاك الله صالحة ... عنا وجُنِّبْتَ خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغنى ويأوى إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم ... حتى أغيب بين الرمل والطين[1]

والشعر العربي الحديث مقصر في هذا الباب . وها هم أولاء جل أعلامه المتزوجين : البارودي وصبري وشوقي وحافظ وولي الدين والزهاوي وشكري والمازني[2] قد خلت دواوينهم من شعر الزواج الشخصي

ولا تثريب على كل شاعر عزب

أما البارودي فقد تأهل مرتين فلم يستقبلها بالقريض ولم يترنم بالزوجتين بعد ذلك . ولكنه رثى الأولى رثاء كأنه غزل حزين وكانت الوفاة بمصر والمرثاة بسرنديب . وهذه أبيات مجموعة منها :

لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يدي ... تقوى على رد الحبيب النادي
كم بين عادِيّةٍ تملى عمرَهُ ... حقباً ، وبين حديثةِ الميلاد ؟
سر يا نسيم فبلغ القبر الذي ... بحمى الإمام تحيتي ووادي
لا تحسبيني ملت عنك مع الهوى ... هيهات ، ما تركُ الوفاء بعادي

وأما الأستاذ المازني فحين كان ينظم لم يكن لقرينته نصيب من نظمه ، فلما هجر الشعر كان لها من نثره أكبر نصيب ؛ وكان النظم والتناول الشعري أولى بهذا الحديث ! وهو مع هذا يقول

(١) الحسين ، طبعة ١٣٤٩ ، ج ٢ ص ٢٣٣

(٢) أما الأستاذ مطران وجبران والأستاذ العقاد ، هكذا على ترتيب مولدهم ، فلم يتزوجوا . والعهدة في مطران وجبران على الشيخ يوسف البستاني صاحب مكتبة العرب

عن نفسه : « ... ومن متناقضاتي أني على حيائي أراني في كثير من الأحيان ثقيل الصراحة[1] »

أستطرد من هذا إلى علمين من أعلام الأدب هما الدكتور هيكل باشا والدكتور طه بك ، فهما وإن لم يطرقا الموضوع فقد طرقا هامشه طرقاً خفيفاً . ذلك أن الدكتور هيكل تحدث عن قرينته في كتابه « ولدي » ، وأن الدكتور طه قال عن قرينته يخاطب كريمته : « لقد حنا يا بنتي هذا الملك على أبيك فبدله من البؤس نعيما ، ومن اليأس أملاً ، ومن الفقر غنى . ومن الشقاء سعادة وصفوا[2] »

وذكر كيف تعرف إليها وكيف كان أثر صوتها في نفسه[3]

ثم أعود إلى حديث الشعر فإني قرأت قصيدة « ليلة الزفاف » للأستاذ إبراهيم العريض ، وهي قصيدة « من وراء الستار » كما قال ، فإنه فصل فيها تفصيلاً ختمه بقوله : « فضمها شوقاً لأحشائه[4] »

ثم قرأت قصيدة « عيد ميلاد سعيد » للأستاذ العوضي الوكيل[5] قال فيها :

يا زوجتي ، يا هواي ، يا أملي ... قلبي بمعنى سناك محشود
من منذ عشرين غير واحدة ... ومعدن الفن فيك موجود

ولكن أين الخطبة وما تلاها إلى « عيد الميلاد » عند الوكيل ؟ وأين ما قبل ليلة الزفاف وما بعدها عند العريض ؟

فإذا جاز لي أن أمازحهما قلت : ألم يعجب الأستاذ العريض من الزواج غير ليلة الزفاف ؟ ... وهل كفى الأستاذ الوكيل نفسه شر غلاء الحرب في هدية العيد فأهدى القصيد ؟ ...

وهكذا لم أجد شاعراً نظم الشعر في حياته الزوجية أو نثره ، فشمل بشعره تلك الحياة . وقد وجدت الشعراء المجيدين الذين لا أثر للزوجية فيما رنموا !

في الحق أن نقص شعر الزواج يسترعي النظر

عبد المجيد مصطفى خليل

(١) مجلة المزرعة ، العدد الثاني سنة ١٩٤٠ (٢) الأيام

(٣) بعض أعداد مجلة الهلال (٤) مجلة الرسالة ، ص ٩٠٧ ، سنة ١٩٤٠

(٥) مجلة الرسالة ، العدد ٣٧٧ ، سنة ١٩٤٠

حكم بتغريم محمد متولي شلبي البقال بباب الشعرية بالقضية ن ٢٣٨ تسعيرة سنة ١٩٤٠ استئناف ن ٩٧٣٧ بجلسة ٣٠ سبتمبر جنيهاً واحداً لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة .

من وحي المنصورة

الهـــروب من النفس

للأستاذ حبيب الزحلاوى

صديقي الدكتور مبارك

سواء خُدعتَ فوقعتَ في الشرك المنصوب، أو سولت لك نفسك صيد السمك في المنصورة، أو طمعتَ في سماع أحاديث «الزيات والزناتي» الحلوة وغير الحلوة، أو طاب لك أن تترثر في رفاق ظننت أنه لا يستوى عندهم كلامك المقول والمكتوب، سواء أكان هذا أو ذاك، فأكبر الظن عندى أنك فزعت إلى البلد الأمين تنشد الهروب من نفسك!! أليس كذلك؟

للهاربين من نفوسهم قصص وحكايات يعرفها ويضمرها السكير والحشاش والمقامر، وأيضاً المتسكع في الطرق، والضارب في الفلوات، والقاعد في المقاهي، وكل هذه أنواع من بواعث، وأشكال من أسباب، يفتعلها الأزوم للخلاص من همه، فيها الظريف المستملح، وفيها المجرّح المؤلم

ومن أظرف حكايات الهاربين من نفوسهم حكاية فزع ابراهيم ناجي الشاعر إلى ديوان زميلة ونده الشاعر قسطندى داود كلما استحكمت أزمة نفسه أو افتعلها لها من توهماته وظنونه، ومن يقرأ أشعار ناجي ير مسحة من روح «داودية» شفافة تجلي غمامة الصدر وتبعث الضحك؟ ولو كنت يا صديقي ممن قدر «عليهم» أن يكونوا عرضة للأزمات النفسية التي يزنها الشاعر بميزان مزاجه وعاطفته وتصوراته، فعليك بلا توان بواحد من ديواني شعر الدكتور ناجي أو قسطندى داود فالبرء في قراءة أشعارهما لا شك مضمون

وحكاية ثانية عن الهاربين من أنفسهم بطلها «العبد لله» فعند ما تنشأ الناشية وتكون مسببتها الشيطانة (هي) لا أعمد إلى السكر، ولا إلى أي سبب يمت بصلة إلى تنشية الواقع بالأوهام، أو طلائه بالضحك، بل أتناول كتاباً ضخماً أسميته أنت تجوزاً أو اعتباطاً «ليلى المريضة في العراق»

وكنت أقلب، يا صاحبي المبارك، صفحات كتابك صفحة فصفحة، وأمعن وأغذ السير معك، متشوقاً متطلعاً إلى رؤية وجه ليلى المرضة يصطفق روحها نفسي المريضة، فكان يجابهني وجه الحريري، أي الصفاح من خدك الأعوس، فأضحك وأضحك! ولكن سرعان ما أطرح الكتاب جانباً، وأنطوى على نفسي أستجمع قواى المبعثرة وذهني المرتكز حيال أمر واحد متكتل تكيوط في الشوك

لسبب لا أذكره ترفعاً وكبرياء، وجدت نفسي في حومة الأزمة الجائحة تحيط بي الثائرة المجنونة من كل جانب، تسد على المسالك

تعلقت بكل خيوط الفرج من أضراب ناجي وداود ومبارك وأمين في قصة سارة، أطبقت الأزمة على نفسي وألقتني في الأسر والعبودية! وإن من الناس يا صاحبي من يفقدون آخر مزية لهم إذا هم انعتقوا من عبوديتهم

تذكرت الخدعة التي أوقعك فيها أصحابك، ووسيلة «صيد السمك» التي حفزتك إلى السفر إلى المنصورة، فلقيت أنت فيها الوحدة والوحشة وانقباض الصدر فأخذت تصرخ وتئن! أما أنا فقد صفقت لها طرباً، فعمدت في التو إلى خداع نفسي، فركبت السيارة إلى المنصورة، وصدفت عمداً عن «الزيات» وكافورته، وألقيت بنفسي في وهاد الوحدة

حقاً إنه لأمر مروع يا مبارك أن يبقى الإنسان منفرداً في عتمة الليل عند شاطىء النيل الساجي لا يسمع إلا رشاش الأمواه تقطر من مجاذيف الفلك، مع من أقامه قاضياً على نفسه ومنتقماً منها بالشريعة التي اشترعها، ولكنى لقيت الراحة في الانفراد ليقين صادق مني بقول نيتشه القائل: «إن في المنفرد عواطف تطمح إلى القضاء عليه؛ فإن لم تنل منه نالت من نفسها وانتحرت»

لم أستسلم لهذه الأمنية بل صممت على الظفر بالعواطف والانتصار عليها

كدت أسقط يا صاحبي فريسة سمكة ليلية حاولت اصطيادي مستغلة وحدتي وانفرادي، والمنفرد كما تدرى، يمد يده مسرعاً بلا وعي لمصافحة من يلتقي بطريقه، ولم يصدني عن مدها سوى

عراك في معترك

أي معترك !

للأستاذ زكي طليمات

- ٢ -

تعسف الأستاذ محمد متولى فى رده علينا[1] متسقطاً أخطاء لم تقع إلا فى وهمه، وأسف إلى السباب وسقط الحديث فى جدل يجب أن يسوده الوقار والحجة العلمية ، كما أوضحنا ذلك فى مقالنا الأول ، فانحرف متولى بذلك عن (موضوعية) النقد الذى تحدث عنها بطرف لسانه دون طرف سنانه

(١) مطاءة الفيلسوف المعاصر

والدليل على ما نذهب إليه ـ وهو ليس الأول والأخير ـ أن متولى فى غيبوبة أله — ومصدر هذا الألم أننا رددنا أقواله بالحجة — أصدر أمراً بإرسالنا إلى « محكمة تحفظ كرامة العلم وتحاسب المستهترين بقدسيته وتعاقبهم على جناياتهم » لأننا وصفنا فى سياق حديثنا الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس) بأنه « الفيلسوف المعاصر » ، هذا فى حين أن وليم جيمس هذا توفى عام ١٩١٠ ، وكأننا بالأستاذ متولى يقول إننا تكلمنا عن فيلسوف لا ندرى متى انتقل إلى الدار الباقية ، وإن كلمة (معاصر) هذه لا تنطلق وصفاً إلا لفيلسوف ما برح يعيش فى عصرنا برئتيه وبقلبه !

وحرصنا على أن يزداد الأستاذ متولى علماً ، وبرنا بذهن القارىء الذى هو أمانة بين أيدينا يدفعاننا إلى التبسط فى حديث ما كان أغنانا عنه لو كان الأستاذ متولى يعرف الموضوع الذى يجادل فيه ، أو يعرفه ولم يغالط ويعاند

إن كلمة « معاصر » هـذه تدل على أقلام الكتاب عندنا كلمة Contemporain الفرنسية ، وهى فى اصطلاح مؤرخى الأدب ونقاده تطلق وصفاً للآراء والاتجاهات الأدبية والعلمية والفنية التى لم تأخذ بعد عصراً من العصور فى نواح من نتاجه الذهنى. وقد نص على هذا المعنى المصطلح عليه العلامة Littré فى مؤلفه (معجم اللغة الفرنسية) وهو حجة المعجمات الفرنسية بما يأتى :

La raison contemporain : est l'ensemble des choses qu'une société admet comme vrai à une époque donnée.

وترجمة هذا النص : « إن الرأى المعاصر هو مجموعة أشياء يعتبرها مجتمع ما حقيقة فى عهد معين »

فإذا نحن وصفنا (وليم جيمس) المتوفى عام ١٩١٠ بأنه (معاصر) فمعنى هـذا أن آراءه الفلسفية ما زالت يؤخذ بها فى شئون الفلسفة وفى شئون الحياة . (فالبراجاتيزم) أو مذهب (الذرائع[1]) ، وهو المذهب الذى صاغه جيمس نفسه ما برحت له أطراف طويلة تمتد على الفلسفة الحديثة وعلى سلوك الناس . فقد قرر (موسولينى) يوماً[2] أنه « يدين لوليم جيمس بكثير من

(١) تتلخص (البراجاتيزم) فى « أن يتخذ الانسان من أفكاره وآرائه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولا ، ثم على السير بالحياة نحو السمو والكمال » (قصة الفلسفة الحديثة للاستاذين أحمد أمين وزكى نجيب محمود الجزء الثانى . صفحة ٦٢٤)

(٢) « قصة الفلسفة الحديثة » ص ٦٢٥ الجزء الثانى

(١) الرسالة رقم ٣٨١ . ص ١٠٩٩

خيال بدا كالشبح أمامى وهمس فى أذنى : « إن كثيراً من ساميات الأفكار أضراب شيطانتك تعمل عمل الأكرة المنتفخة فلا تكاد تتضخم حتى تضمر » وأردف قائلاً بصوته الأجش وقد شاع شيوع الروح فى جوانب نفسى « أأنت عاشق أيها الأديب المنفرد؟ اعشق نفسك أولاً ثم احتقرها، فالأديب العاشق لا يبتدع إذا كان لم يبدأ باحتقار المحبوب !! »

غاب الشبح عن ناظرى فلقيت نفسى أسير على غير هدى وبيدى ما يثقلها وهو كتاب لتوماس هاردى ترجمه الأديب فخرى أبو السعود . جلست فى أول قهوة رمضانية أقرأ روح هذا الشاب المنتحر وقد مزجها بروح المؤلف العبقرى

عليك الرحمة أيها الأديب المنتحر فقد عرفت كيف تحب وتنجب وتحتقر ، وكيف تتفوق على إنسانيتك ، أما أنا فما زلت أحب ، وأحب الحياة ...

وأنت أيها الدكتور مبارك فسلام عليك من صديق يحبك ولا يحتقرك

حبيب الزحلاوى

آرائه السياسية ، وأنه بتأثيره لا يحتكم في سياسته إلى نظريات العقل المجرد ، إنما يسلك من السبل ما يراه أقوم وأدنى إنتاجاً »

ونستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إن (نيتشه) الفيلسوف الألماني المتوفى سنة ١٩٠٠ ، أي قبل وفاة وليم جيمس بعشر سنوات ، له جانب كبير من فلسفته ما زال (معاصراً) على الرغم من مرور السنين ووفاة صاحبها . فالدكتاتورية اليوم ، ومظاهرها النازية والفاشية ، بدعوتها إلى استخلاص العنصر الآري ورعايته بجهد جانب العناصر الأخرى ، إنما تستمد معينها من فلسفة (نيتشه) ، التي تقوم على عبادة القوة ، إذ القوة في نظر هذا الفيلسوف ، كما هي في نظر الألمان والإيطاليين اليوم ، هي الفضيلة السامية ، والضعف هو النقيصة السافلة ، والشر المستطير الذي يجب القضاء عليه ! !

فإذا كان الأستاذ متولى لا يفهم هـذا ، أو هو لا يريد أن يفهمه مكابرة وعناداً فها نحن أولاء نسوق إليه براهين حسية تنهض حجة على ما نذهب إليه في أن كلمة (معاصر) يذهب معناها إلى ما قررناه ، وقرره قبلنا كبار الكتاب والنقاد .

(ا) ألف العلامة دانيل مورنيه Daniel Mornet كتاباً في الأدب الفرنسي أسماه (تاريخ الأدب والفكر الفرنسيين المعاصرين ١٨٧٠ — ١٩٢٧) [1] درس فيه الشعراء والكتاب منذ ١٨٧٠ ، فقدم أبحاثاً عن (زولا) و (دوديه) و (موباسان) و (فلوبير) وغيرهم من الكتاب و (بودلير) و (فيرها رن) و (مالارميه) و (فارلين) من الشعراء ، باعتبار أنهم كتاب وشعراء معاصرون في حين أن جلهم توفوا منذ سنوات بعيدة ، ذكر (مورنيه) هؤلاء وغيرهم إلى جانب المحدثين باعتبار أن مذاهبهم في الأدب ما برحت تسود نواحي من نتاج الأذهان في هذا العصر

هذا في المؤلفات الأدبية ، وفي مؤلف يقرؤه طلاب الأدب !

(ب) وفي الفلسفة — والأمثال عديدة — أخذ العلامة Parodi بالمعنى الذي ذكرناه لكلمة (معاصر) وذلك في كتابه (المسئلة الأخلاقية والفكرة المعاصرة) [1] ، وهو كتاب ظهرت له طبعة بباريس سنة ١٩٠٩ ، وفيه أنشأ المؤلف بحثاً في آراء العالم الأخلاقي الكبير Alfred Fouillée صاحب مذهب (الآراء على أنها قوى) ، وحصل بعد ذلك أن توفى العالم المذكور سنة ١٩١٢ ، وفي عام ١٩٢٠ أعيد طبع هـذا الكتاب بعد الزيادة والتنقيح . فإذا هو لا يزال يحمل اسم (الفريد فوييه) باعتبار أن آراءه في الأخلاق ما برحت قائمة ، ولم يأت بعدها ما يعطلها أو يضفي عليها مسحة فوات الأوان !

فما رأي الأستاذ متولى في هذا ؟ وعـاذا يحكم القارئ ؟ أنا أم متولى الذي يصح أن يقدم إلى المحكمة التي تحاسب المستهترين المتطاولين على العلم ؟

(٢) الرمزية وعلم النفس وأيهما أخذ من الآخر ؟

وثمت شيء آخر لا أسميه من جانب الأستاذ متولى الذي يحمل من العلم شهادة يزهى بها .

ذكرنا عرضاً في مقالنا [2] التي صححنا فيه أخطاء متولى أن علم النفس أفادت منه الرمزية ، فرد علينا متولى بأسلوبه الموصوف : « إن علم النفس عندنا شيء خاطئ لا يزيد على ما نسمعه من بعض زبائن قهوة يرون »

وردنا التواضع أن نكلف الأسـتاذ متولى مشقة قراءة كتاب (تاريخ الأدب والفكر الفرنسيين المعاصرين) السابق الذكر (الفصل الرابع الذي عنوانه « في البحث عن العوالم الخفية » صفحة ٨٩ — ٩٢) حيث رسم المؤلف العلامة (مورنيه) اتجاهات علم النفس عند الكتاب الاتباعيين والرومانيين ، ثم عند الواقعيين والطبيعيين ، ليستطرد القول بعد ذلك في اللاوعية (l'inconscient) ونقتطع فقرة مما ورد في صفحة ٩٢ خاصاً بما نذهب إليه ليقف القارئ على جلية الأمر ويحكم لنا أو علينا ، وها نحن نترجم هذه الفقرة حرفياً : « وعند الفيلسوف برجيسون وغيره أصبح (اللاوعي) الشكل العادي للحياة الروحية ، كما

(١) اسمه بالفرنسية Histoire de la littérature et de la pensée francaise contemporaines طبعة باريس ١٩٢٧

(١) اسمه Le problème moral et la pensée contemporaine

(٢) الرسالة عدد ٣٧٨ ص ١٠٢٠ . العمود الأول س ٧ .

أنه غدا النبع الخفى الواسع العميق الذى تقطر منه حياتنا الواعية المنطقية . وإلى هـذا النبع قصد الرمزيون منذ سنوات عديدة يغترفون من معينه ، وسار على أثرهم القصاصون والمؤلفون المسرحيون »

وإتماماً للفائدة التى نبتغيها للأستاذ متولى من هذا الدرس العابر نحيله إلى (الفصل الخامس) من الكتاب نفسه (ص١٠٧) لنضيف إلى ما تقدم ذكره ، تأثير فلسفة برجيسون فى الرمزية عن طريق تغليب (البصيرة) على الذكاء والمنطق

وعليه فظاهر مما تقدم أن آراء برجيسون فى علم النفس أثرت فى الرمزيين ومن ذهبوا إلى استكناه العوالم الخفية ، بعد أن نفى برجيسون مقدرة الذكاء والمنطق ، وأكد تغليب الحياة الباطنة على الحياة الظاهرة . وكفى هذا دلالة على انبساط أطراف هذه الآراء على الرمزية وما تشعب منها فأفادت منها

(٣) أين هذا النص ؟

وهناك فى مقال الأستاذ متولى مثال ثالث ساقه لى ليقيم الحجة على أنه « يعرف موضوعه لدرجة تسمح له أن يصحح لى وللدكتور بشر فارس أوهاماً علمية نعيش فيها »

يقول متولى إن كتاب Traité de Psychologie لجورج دوماس (طبعة ١٩٢٣ — ١٩٢٤) ، وهو الكتاب الذى كان اعتمادنا عليه فى التدليل القاطع على أن آراء (ريبو) فى الرمزية فات أوانها ... متولى يقول إن طبعة هذا الكتاب « منسوخة لأنها تطبع الآن فى تسعة أجزاء زيادات وتفصيلات ، وقد ظهر الجزء الخامس منها عام ١٩٣٦ ... الخ »

والذى ندلى به فى هذا أنه من الجائز أن يعاد طبع هـذا الكتاب ، وأن تدخل عليه زيادات وتفصيلات ، ولكن الذى لا نجيزه أن يختلق الأستاذ متولى أن الكتاب قد (نسخ) ولما يمض على الطبعة التى اعتمدنا عليها عشر سنوات ، لأن (النسخ) إنما يأتى عن طريق إحلال آراء مكان آراء ، وما على الأستاذ متولى إلا أن يقدم النص الجديد فى الطبعة الجديدة . وهو النص الذى ينسخ النص الأول الذى سقناه عن كاتبه العلامة (أبيل راى Abel Rey) الذى عقد فصلاً بعنوان (الاختراع) فى الجزء الثانى من الكتاب المذكور ص ٤٢٦ ، وفيه طعن فى نظرية (ريبو) النفسية ...

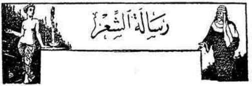
بيد أننا نؤكد أن متولى لن يقدم هذا النص ، وعليه فسيبقى قائماً طعن (أبيل راى) فى (مخيلة) ريبو ، من حيث أنها خاضعة بعض الشىء لمذهب (الذرية الذهنية) وهو مذهب لا يؤخذ به اليوم . سيبقى هذا الطعن قائماً على الرغم من أنف الأستاذ متولى ، ما دام نظر العلماء إلى مذهب (الذرية الذهنية) حتى يومنا هذا رفض الأخذ به

وقد يتساءل القارئ : لماذا يفتعل متولى هذه الأفاعيل ويفتئت على الآراء الفلسفية متحرجاً راكباً رأسه ؟ والجواب على هـذا لا يخفى على من يعرف حكاية الثعلب الذى يطلق من جوفه ريحاً تعافها الأنف إذا أخذته الأيدى من كل حدب !!

نقف هنا وقد كفانا تدليلاً على ما تورط فيه متولى بعد أن ركب من غشيته شر الحمر

وفى مقالنا الآتى درس فى الرمزية ، كما نظر إليها (ريبو) نفسه ، وكما أساء فهمها الأستاذ متولى

(للحديث بقية) زكى طليمات



جيرة الحرم النبوى

للأستاذ على الجندى

أَتَتْنى عَنْـكُمُ الأنباء تَتْرَى   فإنْ صحَّتْ فقد عَظُمَ البلاء
أَحقًّا أنكم بِتُّمْ جِيـاعًا   ولولا كُمْ لما عُرِفَ السَّخاء
وأنـكمُ حِيَالَ (القَبْرِ) صَرْعى   أَنِينُكمُ يَغَصّ به الفَضاء
تَفيضُ دموعُكم مِلْءَ المآقِى   فيُمْسِكها التَّصَوُّنُ والإباء
فإنْ نَاحَتْ صِغَارُكُمْ بَكَيْتُمْ   لهُمْ من رحمةٍ وبَكى النِّساء
ولَوْ كُنْتُمْ (لموسى) أو (لعيسى)   من الأتباع عَمَّكُمُ الرَّخاء
وَأَمْسَيْتُمْ وَقَفْرُكُمُ ظِلالٌ   وأشجارٌ وأزهـارٌ وماء
وكانَ لكم (بأمريكا) حُبُوسٌ   وَوَافَاكم من (الغَرْب) الحِبَاء
ولـكن ضِعْتُمُ ما بَيْنَ قومٍ   أشِحَّاء ، وَإِنَّ الشُّحَّ داء
خَبَرْتُ المسلمين ، فَمَا نَدَاهُمْ   سِوى الألفاظِ يَذْرُوها الهواء
يَفوقون الحصى والرَّمْلَ عَدًّا   وَهُمْ - إنْ نَابَتِ البلوى - غُثَاء
أيَفْنَى جيرةُ الحَرَمَيْن فقرًا   ونحن بعصرَ يُفْنِينا الثَّرَاء ؟
وهُمُ مِلْحُ الأنام وآلُ (طَهَ)   عليهم تحسُد الأرضَ السَّماء

***

أجيرانَ (الرسول) دَمِى وَرُوحِى   فِدَاؤُكُمُ ، وإنْ قَلَّ الفِدَاء !
شَجَانِى خَطبُكُمُ فبكى قَرِيضِى   عليكم ، والقريضُ له بُكاء
وَلَوْ حِيزَتْ لِىَ الدُّنيا جَمِيعًا   لَجُدْتُ بها وفى وجهى الحياء
وكنتُ كفيتُكم جَدْوَى أُنَاس   إذَا نُودُوا أَصَمَّهُمُ النِّـدَاء
وكان لكم - وَلاَ مَنٌّ عليكم -   ثوابُ الله - دونى - والجزاء
ولـكنْ حَسْبُكم - والمالُ يَفْنَى -   دُعَائى ، رُبَّمـا نَفَعَ الدُّعاء

على الجندى

الفجـــر

سَكَبَ الفجرُ بِالدُّجى لألاءَ   عَبَّهُ الشَّرقُ فَانْتَشَى وَأَضاء
فَالسَّنَا زَاهِرٌ يُقَبِّـلُ آنَا   رَ الدَّيَاجِى وَيَرْشِفُ الأنْدَاء
زفَّت الشَّمْسُ رَكْبَهُ ثمَّ أَلْقَتْـهُ عَلَى الأفْقِ صَفْحَةً بَيْضَاء
وَالجِنَانُ الحِسَانُ عَانَقَهَا النُّـورُ مَشُوقًا فَهَزَّهَـا سَرَّاء
هَتَفَتْ بَيْنَهَا الطيورُ وَصَاغَتْ   وَحْيَهَا الحُلْوَ نَغْمَـةً وَغِنَاء
والغُصُونُ الرِّطَابُ حِلْيَتُهَا الزَّهْـرُ عُقُودًا تُتَوِّجُ الوَرْقَاء
أطرَقَتْ وَالنَّسِيمُ طَارَحَهَا الشَّوْ   قَ فَأَغْضَتْ وَبَاعَدَتْهُ حَيَاء
تَنْثَنِى كَالقُدُودِ مَالَ بِهَا الدَّ   لُ وَتَخْضَلُّ إذْ تَمَسُّ الماء
وَالأزَاهِيرُ إنْ تَرِفُّ فَسَكْرَى   رَشَفَتْ مِنْ كُؤُوسِهَا الصَّهْبَاء
أَلَّفَتْهَا يَدُ الطَّبِيعَةِ فَالبَيْـضَاء حُبًّا تُعَانِقُ الحَمْرَاء

***

قَبَسَةَ الفَجْرِ لَمْحَةٌ مِنْكِ فَضَّتْ   سُدَفَ اللَّيْلِ فَانْفَلَقْنَ ضِيَاء
وَرَسُولٌ لِمُجْتَلاكِ سَنِىٌّ   بَلَغَ الشُّهْبَ فَانْتَثَرْنَ هَبَاء
هَلْ لِفَجْرِ الرَّجاءِ مِنْكِ انْبِثَاقٌ   يَطْعَنُ اليأسَ طَعْنَةً نَجْلاء

(بغداد)   مصطفى كامل ياسين

أنا وأنت . . .

أنَا السَّمَاء وَأَنْتِ البَـدْرُ بَرْعَمُهُ
كَمُّ الظَّلامِ عَنِ الإشْعَاعِ فى صَدْرِى
قَدْ أَوْحَشَتْ رَحَبَاتِى يا حَبِيبُ وَمَا
أَجْرَيْتَ أَنْفَاسَكَ البَيْضَاء فى نَحْرِي
هُمْ غَلَّفُوكَ ، فَمَزِّقْ سِتْرَ حُلْكَتِهِمْ
وَاسْطَعْ عَلَى أُفُقِ المَهْجُورِ يا بَدْرِى

***

أنا الخميلةُ ، تيجانُ الورودِ ذوتْ
على ضفائرِ أشجاري من الخفرِ
والطيْرُ أخرسها عريُ الغصونِ فما
عادتْ تسرُّ أغانيها إلى الفجـرِ
وأنتِ ... أنتِ ربيعٌ في ضميرِ غدي
وسوفَ يلبسُني ثوباً مِنَ التّـبْرِ

***

أنا الفيافي ، وأنتِ القطرُ تحبسُهُ
أناملُ الغيمِ في العلياءِ عن قفري
قدْ أخمدتْ زفراتُ القيظِ في كبدي
روحَ الحياةِ ومنكَ البعثُ يا قطري
إنْ يفقدوكَ فبالنورِ السحابِ غدًا
تسيلُهُ لفحاتُ الشمسِ في ثغري

***

أنا البنفسجُ لمْ يُبقِ الهجيرُ على
عودي سوى قبسٍ منْ هالةِ القمرِ
لكنّما أنتِ دمعُ الطلِّ ينظمُهُ
جيدُ السمواتِ أسماطاً مِنَ الدررِ
وفي الصباحِ يرذُّ النسْمُ في ورقي
بعضَ الدموعِ فأحيا ضافيَ السحرِ

***

أنا لكَ العشُّ يا قمريُّ ... يحزنُني
أنْ قدْ نأيتَ ولكنْ أنتَ لا تدري
اعشوشبتْ جنباتي واللجينُ جرى
تحتي يناديكَ يا ظمآنُ !! للنهرِ
إنْ يسكنوكَ بروجَ الناسِ سامقةً
سيحتويكَ حنينُ الطيْرِ للوكرِ

(السويس) عبد الرحمن الخميسي

أين يقيني ؟

صحتْ بين جنبيَّ الهمومُ وأيقظتْ
دفيناً من الذكرى يثيرُ حنيني

حنيني لأيامِ الهوى وملاعبٍ ... بهن صباباتي وهنّ جنوني
عليهن قضينا الليالي هنيئةً ... تفيض بدنيا من منى وفتون

مضى الحُلُمُ البسّامُ وارفضَّ سامري
وغُيِّبَ عن عينيَّ نورُ عيوني

وماتت أناشيدي وحطم أرغني ... ويادهرُ هل شوهدت غير ضنين

***

مضى في هدوء الوادعين وأغرقت
لياليه في صفو وطيب سكون
وأين الأماني الزهر والدهر باسمٌ
وهذي يد الأيام قبضُ يميني؟

وأين ربيع العمر والعود مورق ... وأين يقيني؟ هل فقدت يقيني
فأصبحت لا ألقى الحياة ونورها ... وأفراحها إلا بعين سجين
سجين أضلته الهمومُ فما رأى ... سوى عصف أسقام وغبن سنين

(الاسكندرية) مصطفى على عبد الرحمن



قصة الفيتامين

الفيتامين C ومرض الاسخربوط

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامى

— ٧ —

غالباً ما يكون حلول الربيع مدعاة لبدء الإصابة بمرض الاسخربوط ، وذلك عند ما تعم الشكوى من الأمراض الناشئة عن تقلبات الجو كالضعف والخمول وفقد شهية الإقبال على العمل وآلام الرأس والشعور بالثقل فى الحركة وآلام فى الأطراف . ولم يهتد بادىء ذى بدء إلى تعليل هذه الأعراض ومعرفة أسبابها إلا بعد ظهور المعلومات الحديثة عن المواد الحيوية الموجودة ضمن الأغذية والطعام ، ولأنه كان غريباً وداعياً إلى الدهشة والتفكير تفشى هذه الأمراض بين الناس فى هذا الوقت من كل سنة ، وفى الشهور : مارس ، أبريل ، مايو ، التى ترتفع فيها أثمان الخضر الجديدة (حسب المقتضيات الأوربية) ، وصدوف سواد الناس عن شراء الخضروات أو إقلالهم من استهلاكها ، وبذا تقل طبعاً كية الفيتامينات اللازمة لحفظ الكيان والصحة

ويعزى « مرض الربيع » هذا إلى نقص فى كية الفيتامين التى تدخل الجسم ، يؤيد هذا القول ظاهرتان هامتان أخذتا من الإحصائيات . وأولى هاتين الظاهرتين هو بطء النمو عند الأطفال فى هذه الشهور ، وطبقاً لما تردد ذكره من ارتباط النمو بالفيتامينات ، فقد تبين أنه تبعاً للنقص فى تموين الجسم بالفيتامينات فى وقت الربيع ينخفض مستوى النمو الجسمى العام، وثانياً ازدياد نسبة الوفيات فى شهرى مارس وأبريل ؛ وهناك مثل ألمانى يشير إلى هذا المعنى ويقول : « إذا أخطأ مارس وولى، كان لأبريل القدح المعلى » . وإذا ما علمنا أن وجود الفيتامينات فى الجسم يدرء عنه العدوى من الأمراض المعدية ، ويحصنه ضد كثير غيرها ، وأن خلو الجسم منها يجعله أكثر قابلية للرضوخ لـكثير من الأذى والعلل — قام هذا دليلا آخر على الصلة بين التغذية المفتقرة إلى الفيتامينات ، وبين الزيادة الظاهرة فى أرقام الوفيات . فاذا تم بهذا ولو لحد ما حصر الأسباب الرئيسية التى ترجع إليها أعراض مرض الربيع . أى انخفاض مستوى نمو الأطفال وصعود نسبة الوفيات ، فقد بقى سؤال آخر بلا جواب ألا وهو : أى نوع يا ترى يكون مرض نقص الفيتامين هـذا الذى يسمى أول أعراضه وأولى صوره بمرض الربيع ؟

- ضمن أعراض مرض الربيع ظاهرة استعداد لحم الأسنان إلى الإدماء السريع حتى بأقل مجهود يبذل فى تنظيفها ، وتزداد هذه الظاهرة شدة وخبثاً وتتداعى عندها اللثة كلها إلى الإدماء . وقد استعمل قديماً اسم الأسخربوط للتدليل على هـذا المرض ولكنه نسخ بعدئذ بالتسمية الصحيحة بمرض نقص الفيتامينات . ويقابل الأسكربوط بالألمانية شاربوك، وهى منقولة عن الهولندية، شار بمعنى فتحة أو ثلمة ، بك بمعنى فم، فيكون معنى الـكلمتين مجتمعتين الفم الجريح أو الفم الدامى

ولقد كانت صورة المرض قديماً من البشاعة فوق ما يتصوره الإنسان، يدل على هذا البقايا العظيمة للجيوش الرومانية فى عهود قياصرة الرومان وفى جيوش المحاربين الصليبيين . ويُحَدّث المؤرخ السويدى أولاوس ماجنوس Olaus Magnus المولود عام ١٤٩٠ فى كتابه « تاريخ الشعوب الشمالية » بإسهاب عن إصابة رجال السفن الشراعيـة من رائدى القطب الشمالى من البحاثين وتابعيهم ومن صائدى الحيتان والسمك . كذلك كان ينشب المرض أنيابه على اليابسة بين الناس وقت الحروب والأسر والمجاعات ، وبلغ من شدة وطأته أحياناً فى العصور الوسطى وفى أزمنة الشدة أن اعتُبر فى المدن الـكبيرة بجانب أمراض التدرن من الأمراض المستعصية التى لا يرجى معها شفاء . كما اتخذ فى عام ١٩١١ فى مدينة نورنبرج بألمـانيا شـكلا وبائياً كارثاً إثر نكبة فى المحاصيل الزراعية

وأعراض المرض فى أواخر الشتاء أو أوائل أيام الربيع على المصابين هى التهاب اللثة وإدماء أغشية الفم المخاطية وإدماء ونزيف من الجلد والأنسجة والعضلات ، ثم تثقل حركة الأرجل وتهزل هذه وتصاحبها آلام مبرحة فى العضلات ، وتفقد الأسنان تماسكها وارتباطها ، وتضعف العظام وتصير هشة غضروفية .

وإذا استمرت التغذية على ما هي عليه رغم هذه الأعراض فصير المريض إلى التهلكة لا محالة . ولكنه إذا تنوع الغذاء وتعددت ألوانه وأضيف إليه الخضر واللحم الطازج ، ولو بمقدار طفيف ، تزول هذه الأعراض كما يزول كيد السحر

لم يبق شك بعد هذا فى أن مرض الأسكربوط هو مرض غذائى . وفى أثناء الحملة الاستطلاعية التى قام بها شارل الثانى عشر ملك السويد على أراضى أوكرانيا فى مستهل القرن الثامن عشر ، عالج أطباء حملته مرضى الجنود بالاسكربوط بالحقن بواسطة إبرة من الخشب بمادة أتت بنتائج طيبة مما جعلها تلقى طريقها إلى مستشفيات برلين للعمل بها فى علاج الاسكربوط . وقاوم الإيطاليون من قديم الزمن مرض الأسكربوط بعصير النبت ، وصرح أحد الأطباء العسكريين النمسويين فى عام ١٧٢٠ بأن عصير البرتقال والليمون أكثر فعلاً فى مقاومة الأسكربوط ، وقد أخذت برأيه حينذاك رياسة البحرية البريطانية واستعملته فى عام ١٨٠٤ فوق سفنها فى علاج رجال بحريتها الذين انتشر بينهم هذا المرض الخبيث

ولقد ساعدت هـذه المعلومات القديمة حتى حرب سنة ١٩١٤ فى مقاومة ودفع مرض الأسكربوط بالرغم من وجود بعض الإصابات الشاذة التى لم تنجح مقاومتها . وانتشر المرض فى بعض الأقاليم الريفية فى روسيا التى تقتات بالحبوب وظهرت أعراض الأسكربوط بانتظام فى بعض جهات ألمانيا والنمسا التى كانت تتناول غذاءها من الأطعمة المحفوظة كاللحوم والبطاطس والخضر المجففة واللبن المكثف Kondense وتفشى كذلك بين الأتراك وأهل رومانيا ووجد مرتعاً خصيباً بين الأسرى الألمانيين والنمسويين الذين وقعوا فى أيدى الروس . أما أثره فى الكتائب الإنجليزية فى العراق فيكفى أن أحصى عدد المرضى بالأسكربوط بأحد عشر ألفاً من الجند . وكذلك انتشر مرض الأسكربوط بين الأطفال فى الجهات التى وقع عليها حصار بحرى أو أرضى فى الحرب الماضية ، إذ تبعا لهذا الخناق وانقطاع الصلات عبر البحر أو الأرض لم يكن هناك غير اللبن المعقم للتداول فى إطعام الأطفال ، واللبن المعقم تقل حتى تنعدم فيه الفيتامينات ، وأخذ المرض فى الأطفال شكلا خاصاً وكان يختطفهم ويلقى بهم فى دور الرعاية والمستوصفات حتى امتلأت بهم . وكانت أعراضه عليهم آلاماً حادة فى العظام ومبرحة فى الأطراف ومضخمة فى المفاصل ومصحوبة بإدماء فى الفم والجلد والأغشية المخاطية . وأما الظاهرة العامة فهي الخوف الذى استحوذ على الأطفال من لمس أى شيء عفواً

وإذا ما أضيف إلى الغذاء أنواع أخرى منه غنية بالفيتامين كالإسباناخ مثلاً أو عصيدة البنجر فلا بد من أمل فى الشفاء فى أجل قصير . ويجدر بنا أن نورد هنا ما تصنعه كثير من الفلاحات الأوربيات اللائى لا يرضعن أبناءهن بأنفسهن بحكم الضرورة فهن يضمن بمضاً من البنجر المقشور فى زجاجات لبن الأطفال

وحتى مع هذه النتائج والتجارب العـديدة لم يتوصل أحد آنئذ إلى الكشف الصحيح أو إلى نتيجة حاسمة شافية تميط اللثام عن هذا المرض المضال الذى أخذ أشكالاً متعددة تارة عند الأطفال وأخرى لدى الكبار ، وفى كل يبدأ على هيئة « مرض الربيع » . وبين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٢ توصل بعض العلماء النرويجيين بناء على تجارب غذائيـة دقيقة إلى إثبات حقيقة مرض الأسكربوط بأنه مرض غذائى . فقد حضّروا غذاء خاصا من الشعير واللبن والبرسيم والعلف الجافة خالية من الفيتامين الواقى من الأسكربوط وأطعموا منه عدداً كبيراً من الحيوانات ، فما لبثت أن ظهرت عليها أعراض شديدة الشبه بأعراض الأسكربوط لدى الإنسان . وفى هذه الآونة فقط أمكن البحث وراء المواد الشافية التى تحتوى على هذا الفيتامين المضاد للأسكربوط ، والذى أطلق عليه فيما بعد الفيتامين C . كما بدأت المحاولات لمعرفة الـكميات اللازمة من هذا الفيتامين التى يجب أن تتوفر فى الغذاء كى تقف وتحول دون ظهور أعراض المرض

وبمـا أن عصيرى البرتقال والليمون يعتبران من المواد الشافية الواقية من الأسكربوط ، فكان طبيعياً أن يبدأ البحث فيها لاستخلاص الفيتامين ، وكان لا بد من التغلب على بعض العقبات التى اعترضت مجرى البحث فى تحضير هذا الفيتامين فى هيئة بلورية نقية ثم الكشف عن تركيبه الكيميائى . ولهذا ابتدأ تاريخ البحث عن الفيتامين C أشبه شيء بالقصة الروائية ، وكان من الأمثلة الحية على تعاون العلماء فى مختلف البلاد تعاوناً جدياً للوصول إلى الحقيقة رغم بعض الاقتراحات الخاطئة المخلصة التى كانت تعرقل البحث وتؤخره .

« يتبع » عبد اللطيف حسن الشامى



اللغة العربية في ورقة رسمية

قال الأستاذ العقاد في مقال له بالدستور :

« وعلى ذكر الكتابة والوزراء والعيد والعيديات نقول إن الحكومة المصرية على ما يظهر قد أرادت أن تعيد على الناس بالورقة الجديدة ورقة ربع الجنيه

فانتشرت هذه الورقة في أيام العيد بعض الانتشار

وما أظن أن نقوداً وصلت إلى يدي قد نغصتني كما نغصتني هذه الورقة الخاطئة

ففيها يقرأ القارىء هذه العبارة : « أتعهد أن أدفع لدى الطلب مبلغ خمسة وعشرون قرش صاغ »

ثلاث غلطات نحويات في سطر واحد ... !

فهل يسمح بمثل هذه الغلطات في عملة حكومة ؟ وأية حكومة ؟

حكومة مصر التي هي زعيمة الأقطار العربية ! !

وحكومة مصر التي تضن على التلميذ الصغير بالانتقال من السنة الثالثة إلى السنة الرابعة الابتدائية إذا أخطأ مثل هذا الخطأ في ورقة الامتحان

لوا هذه الورقة مهما يكلفكم لها من الأسواق والبيوت ، وافرضوا على حصتي التي تخصني من هذه التكاليف ، فهي أرحم من هذه الصدمة مع كل خمسة وعشرين قرشاً صاغاً يكسبها الإنسان »

العربية الغريبة في دارها

سيدي الأستاذ الفاضل الجليل محرر الرسالة

تحية الله ورحمته عليك يا محيي العربية ، ومعيد شبابها إليها ، وملبسها قديم حلاها حلة جديدة توائم العصر وتوافق الزمن ، ولا تخرج — مع ذلك — عن المسنون من طرقها ، والمعروف من مناهجها . وبعد :

فلقد قرأتُ يا أخي من سنوات في الأهرام قصيدة عصماء لشاعر عربي ممن رمت به مطارح الغربة إلى العالم الجديد يقول فيها هذا البيت عن اللغة العربية :

لغة يهون على بنيها أن يروا   يوم القيامة قبل يوم مماتها

وقرأت قصيدة المرحوم حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية وهي مشهورة مذكورة لا يخلو منها كتاب من كتب المحفوظات المدرسية التي تختارها وزارة المعارف وتابعتُ — منذ أن تعلقت من اللغة بسبب — كل ما كتب لها وفي سبيلها أو اقترح لأجلها من إصلاح منهج ، أو إنشاء خطة أو تبسيط قاعدة . ولستُ في ذلك نسيج وحدي وإنما أنا واحد من كثرة كثيرة يقلق جنوبها أن تصبح العربية غريبة في دارها ، أعجمية إلى أهلها ، بغيضة إلى أحبائها

ومن أعجب العجب أن لغة لا يستهين بها أهلها كالعربية ، وأنها على الرغم مما وضع لها من قواعد ، وما عمل لها من ضوابط ، لا تزال تلقى من الكاتبين أو المتكلمين بها إهمالاً كثيراً وقلة مبالاة ، وعدم اكتراث ، وذلك أمر لا تجده في لغة أخرى غيرها . فالانجليزية يكتب بها الانجليز وينطقون بها صحيحة منحّاة ؛ والفرنسية — على كثرة شذوذ الأفعال فيها — يكتب بها الفرنسيون وينطقون بها صحيحة منحاة ؛ والألمانية — على صعوبة نحوها — يكتب بها الألمان وينطقون بها صحيحة منحاة ...

أما العربية فهي مسكينة بين أهلها وبين الغرباء عنها ، وحق للغريب أن ينظر إليها شزراً ما دام ابنها لا يحسنها ولا يبالي أن يحسنها ...

هذا كلام ثار في نفسي بمناسبة ظهور الورقة المالية الجديدة ذات الخمسة والعشرين قرشاً . ففيها غلطة نحوية شنيعة أشار إليها كاتب فاضل في إحدى الصحف اليومية وهي لا تخفى على كل قارىء

ثم يشاء الله لهذه الثورة النفسية ألا تسكن ، فقد ألهبها من جديد في نفسي إعلان غريب عن نوع من الصابون لا نذكره لئلا يؤخذ ذكرنا له على سبيل الإعلان عنه

وإني لمقتبس من هذا الإعلان (العربي) بعض عبارات وأقدمها هدية متواضعة إلى الأخ الدكتور زكي مبارك مفتش اللغة العربية بالمدارس الأجنبية ! فلعل عنده من الرأي ما يسعف ، أو من العزاء ما يسلي ... وإليك بعض العبارات :

(صابون كذا هو محصول فاخر نتيجة اختبارات (ثلاثون) سنة ... نظراً لكونه (صنف جيد) لتحلية وتنعيم الجلد ويجعله (نحلي) ... والحرائر يمكن غسيلها بهذا الصابون الذي يستطيع بأن (يبيضوا) بدون ما يؤثر عليها . وبالإطلاق جميع الأصواف

يمكن بأن (يبيضوا) بصابون (كذا) . ولا تحصل للملابس أى ضيق أو كشش)

ومن الغريب أنه بجانب هـذا (الإعلان المربى) كتب إعلان آخر بلغة فرنسية صحيحة كل الصحة سليمة كل السلامة .

فإلى متى تظل اللغة العربية غريبة فى أهلها ؟ وإلى متى تبقى سقيمة عليلة والمداوون كثير ؟

محمد عبد الغنى حسن

(حاشية) : يقول الصديق القديم الدكتور زكى مبارك فى مقاله « إلى ... » « لا يمكن لأحد أن يكون أكتب منى » وصحة الكلام أن يكون هكذا « لا يمكن أحداً أن يكون أكتب منى » . لأن الفعل أمكن متعد لا لازم (عبد الغنى)

سكران طينة

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء

قرأت أن الدكتور الأديب أحمد عيسى قـد نشر معجماً للمفردات العامية ذات الأصل العربى . وكان أحد عمداء الجامعة قد نشر أيضاً فى بعض المجلات الأسبوعية شيئاً غير قليل من هذه المفردات والتعابير؛ وعنى الأستاذ المازنى بالتنبيه إلى أنه يتحرى استعمال العربى الذى شاع أنه عامى فنبذ من أجل ذلك . ومثل الذى فعله المازنى قد فعله الأستاذ محمد سعيد العريان فى أقاصيصه

ويبدو أن أمر الاهتمام باللغة العامية لا يقتصر على أى عدد من الأدباء قل أو كثر وإنما هو ظاهرة من ظواهر النهضة الأدبية ، كأن اللغة العربية تبحث عن حقها المضاع وتبدأ أول ما تبدأ باللهجات العاميَّة فتستردُّ منها ما سلبته ؛ فى غير تنبيه إلى مثل هذا الغرض نشر الأستاذ أحمد رامى وغيره عدة دواوين باللغة العامية ، حرصا على خدمة المحافظة باسم التجديد ، جزاهم الله خيراً عن المحافظين

ومن دواعى الدهشة فى هذا البلد الشديد المحافظة أن تجد لفظاً جديداً فى عاميته ، فكلما سمعت كلمة خلتها جديدة أقنعتنى مصادفة فى كتب الأدب القديم بأنه لا جديد فى اللغة ، . . !

وآخر ما وجدته من ذلك كلمة سكران طينة ؛ فى شعر كشاجم فى قصيدة مطلعها

متى تنشط للأكل　　فقـد كلت الخونة

يأتى هذا البيت

فما عذرك فى أن لا　　ترى من سكرة طينة

أم لعل للفظ معنى آخر ، أم لعله من قواقع الطبعة ؟

عبد اللطيف النشار

سكان مصر فى الإحصاء الأخير

نقتطف هنا بعض ما تضمنه كتاب « الإحصاء السنوى العام » لمصلحة الإحصاء ، من بيانات عن أحوال السكان فى مصر

قدر عدد السكان فى عام ١٨٠٠ ، أى فى عهد الحملة الفرنسية بنحو ٢٠٠ر٤٦٠ر٢ نسمة ، وكان عددهم فى عام ١٨٤٦ ـ مقدراً على أساس عدد المساكن ـ ٤٤٠ر٤٧٦ر٤ نسمة

أما فى عام ١٩١٧ ، وهو التاريخ الذى بدأت فيه مصلحة الإحصاء باتباع النظم الحديثة، فكان عدد السكان ٩١٨ر٧٥٠ر١٢ نسمة ، زادوا فى سنة ١٩٣٧ إلى ٥٢٥ر٩٠٤ر١٥ ، ثم بلغوا فى سنة ١٩٣٩ ـ ٠٠٠ر٥٢٢ر١٦ نسمة

وبلغ عدد سكان البحيرة حسب تعداد سنة ١٩٣٧ ؛ ٨٨٢ر٠٦٠ر١ نسمة ، بزيادة ٠٤٣ر٩١ نسمة عن التعداد السابق وسكان الغربية ٦٥٤ر٩٦٣ر١ نسمة مقابل ٩٨٥ر٧٩١ر١ فى سنة ١٩٢٧ ، والدقهلية : ٦٦٣ر٢١٥ر١ نسمة مقابل ٦٩٣ر٠٨٠ر١ والشرقية : ٤٥٦ر١١٩ر١ نسمة مقابل ٩١٢ر٠١٦ر١ ، والمنوفية : ٤٣٣ر١٥٧ر١ نسمة مقابل ١٩١ر١٠٥ر١ ، والقليوبية : ٣٠٤ر٦٠٧ نسمة مقابل ٩٤٨ر٥٥٨

أما سكان محافظات أقسام الحدود فكان عددهم ٤٩٣ر١٢١ نسمة مقابل ٥٨٨ر٩٤ فى سنة ١٩٢٧

وبين سكان مصر ٨٩٥ر٦٧٠ر١ يلمون بالقراءة والكتابة ، منهم ٨٤٣ر٣٨٦ر١ من الذكور و ٠٥٢ر٢٨٤ من الإناث . أما عدد الأميين فبلغ ٩٦٩ر٥٠٦ر١٢ ، بينهم ٢٠٣ر٦٧١ر٥ من الذكور و ٧٣٩ر٨٣٥ر٦ من الإناث

كلية التاريخ فى أنقرة

من أنباء أنقرة أن الدكتور رفيق سيدام رئيس الوزارة التركية فتح كلية اللغات والتاريخ والجغرافيا بحضور جمهور من الكبراء والعلماء ، وقد ألقى خطبة قال فيها : « يسرنى أن أفتتح كلية اللغات والتاريخ والجغرافيا التى أمر أتاتورك العظيم بتشييدها ، وهى تعد من الأعمال المجيدة التى أنجزت خلال السنوات الأربع الأخيرة . وإنى أشكر زملائى فى العمل الذين وقفوا حياتهم على تلقين الشبيبة التركية مختلف العلوم

وقرأ الرئيس بعد ذلك فقرة من الخطاب الذى ألقاه رئيس الجمهورية التركية فى حفلة افتتاح المجلس الوطنى الكبير جاء فيه :



الملازم ألبير

للأستاذ محمد محمد مصطفى

كان يحمل أملاً بساماً بين جنبيه ، وبشراً طافحاً فى عطفيه وهو ينهب الطريق إلى قريته . لا يحس مسغبة وبطنه طاو ، ولا يشعر بظمأ وحلقه جاف . وبدا الطريق كئيباً موحشاً وسوق القرية خالية وعهده بها غاصة بالوافدين . . . لشد ما غيرت الحرب معالم الطريق فلا ظل وارف ولا طير غرد . وهذه الحفر من فعل الطائرات ، وتلك الغابة أحرقها الألمان فامتد لهيبها إلى الحقول وأهلك ما فيها من زرع وضرع

ورأى قسيس قريته مقبلاً عليه فخيل للفتى أن فاجعة ألمت به فهو يمشى وئيد الخطى أغبر الوجه ، كأنما يحمل على كاهله وقر السنين . وتراه يدنو من الفتى فيعرفه ويسلم عليه ويسأله :

— أحقاً يا بنى سقطت بروكسل وألقيتم السلاح ؟

فسقطت دمعة كبيرة من عين الفتى وقال :

— كان ذلك حقاً يا أبتاه . . . وإلا فكيف ترانى هنا . . . أمرنا الملك بإلقائه فأطعنا وما كان لنا أن نختار وآلات الألمان تفتك بنا فتك الوباء

— ليغفر الله لليوبولد زلته . . . وإلى أين يا بنى ؟

— إلى أمى وخطيبتى يا أبتاه . إلى قريتى الحبيبة (فورنتيه)

— خير لك يا بنى أن تعود . فقد مسحت القرية من خريطة الوجود

— ماذا . . . !

— أقول إن الجيش الألمانى لم يترك حتى ما يدل عليها

— وأمى يا أبتاه !

فربت القسيس على كتف الفتى، فكاد يسقط لفرط ما دهاه، وقال له :

— يا لها من ليلة هائلة يا بنى . تعال ، اجلس هنا على حافة الطريق ، فقد هدنى من يومها الهم وتضافرت على جسمى الأمراض... وسكت قليلاً كأنما يستعيد ماضياً بعيداً ثم أردف :

« إن أهم ما يتضمنه برنامج التربية الوطنية إقامة المعاهد الثقافية الكبيرة فى أنقرة ، لأننا نريد أن نجعل من هذه المدينة مركزاً للأناضول بما فيها من كليات ودور للأوبرا ومسارح ومعاهد، فيجب أن تمد أنقرة نموذجاً روحياً للجامعات الأخرى فى البلاد . وبعد أن يتحقق ذلك لا نحجم عن تشييد مراكز ثقافية أخرى »

إلى علماء التاريخ

يقول الأستاذ الباحث صديق شيبوب فى الرسالة الغراء عدد (٣٨٣) أثناء تحليله للعالم النفسانى الكبير سيجموند فرويد ما نصه : « كان موسى من رجال حاشية الملك أخناتون الذى كان أول من قال بالتوحيد عند قدماء المصريين »

ويقول الأستاذ طه الساكت فى مقال ترتيب الأنبياء بمجلة الإسلام عدد (٣٩) أول نوفبر سنة ١٩٤٠ : « كليم الله موسى عليه السلام ... بعثه الله تعالى رسولاً إلى فرعون وقومه ومنقذاً لبنى إسرائيل من الذل والاستعباد . وكان فرعون موسى — وهو رمسيس الثانى على ما رجحه بعض الباحثين — يضطهد الإسرائيليين ويذبح أبناءهم » . وقصَّ علينا أساتذتنا أثناء دراسة التاريخ القديم أن فرعون موسى — هو الملك منفتاح — فهذه ثلاثة آراء متخالفة ، فإلى أى رأى نتجه ؟ وبأى قول نقول ؟

فإلى علماء التاريخ وأساتذته نُوجِّه الاستفهام والرجاء . وإنا لتحقيقهم لمنتظرون

محمود محمد بكر هلول

وصية أمين الريحانى

روت المكشوف أن السيد ألبير الريحانى عثر بين أوراق شقيقه فيلسوف الفريكة، على وصية مكتوبة بخط يده ، تحتوى على عشرين بنداً ، ومؤرخة فى سبتمبر ١٩٣١

وتتناول هذه الوصية شؤوناً فى الأدب والسياسة والدين . ولكنه لا ينتظر فى الوقت الحاضر نشرها . وقد حفظت بين آثاره الكثيرة التى يعمل شقيقه ألبير على جمعها ومراجعتها وترتيبها بحسب تواريخها وموضوعاتها

ومما تجدر الإشارة إليه أن أمين الريحانى كان يحتفظ بنسخة من كل رسالة يبعث بها إلى صديق ، ومن كل بحث يرسله إلى صحيفة ، كما أنه كان يحتفظ بكل صحيفة له فيها مقالة .

— كانت فرقة من الجيش البلجيكي تعسكر في غابة القرية حينما هاجمتها الطائرات وأشعلت فيها ناراً امتد لهيبها إلى عنان السماء ، فبدت القرية على وجهها هدفاً ممتازاً دكته الطائرات ...

وضرب الفتى في الطريق إلى بروكسل تنوء بحمله ساقاه وتخذله قوته ، فيسقط في الطريق

* * *

— أماه ... أنظري ! إنه ضابط من فرق القناصة يحتضر

— ماء يا فلورندا من النبع القريب

ويفيق الفتى ليرى رأسه على حجر امرأة فيشكرها ، وتعاونه الأم وابنتها على السير إلى كوخهما القريب

— تفضل فاجلس على هذه الحشية فلم يعد لنا بيت ولا أثاث

وبدا على وجه الفتى آيات من الألم الممض والحزن العميق . ولما قدمت له فلورندا شيئاً من الحساء ، أحس بالدفء والراحة واستطاع أن يتكلم ...

وانتشرت نفس الأم عليه رقة ورحمة، وأحبته الفتاة في صمت. ولم يأبه بذلك الفتى ، ولم يجد له فراغاً بقلبه المعذب المفؤود

وجمعتهم نكبتهم المشتركة في قريتهم وأعزائهم فكان جل حديثهم يدور حول دمار بلادهم . وتعصب معرفة من كان منهم أشد سخطاً على الألمان ، ولكن الفتى كان أكثرهم جنوحاً للصمت والتفكير العميق

... ويوماً قال ألبير :

— ليست فلاحة الأرض صناعة ضباط القناصة ولا يليق بي وقد رزئ وطني باحتلال النازى أن أكون هنا

— فأين يجب أن تكون يا ألبير ؟

— في العاصمة أو حولها . ليشعر الألمان أننا لم نستكن لحكمهم ، وأن في بلجيكا رجالاً

فأدركت الأم مرماه وقالت : إنك تلقى بنفسك في أوار الجحيم

قال : لأشارك أمي ميتتها وقريتي محنتها

وعبثاً حاولت الأم ثنى عزمه ...

أما الفتاة فقد بكت قائلة :

— أرجوأن تبقى هنا إلى جانبي أعوضك من حناني ما فقدته ن حنان الأم ... ألا تسمع ... ؟ إنني أرجو ...

— أرجو أن تسكني قلبي عنك في شغل ...

* * *

صادفت دعوة ألبير هوى في نفوس المنكوبين الناصرين الذين سرحوا من فرقته ، وكان عملهم منظما شأن رجال الجيش ، فبعضهم لنسف الكبارى ، والبعض الآخر لقطع الجسور ، وهؤلاء للسطو ليلاً على المخافر الصغيرة ، والاستيلاء على الأسلحة والذخيرة ، وأولئك لاقتناص البارزين من رجال الحملة الألمانية ، وغير ذلك من الأعمال التي سببت للمحتلين شتى المتاعب

وشاع اسم ألبير في وطنه وأكبره مواطنوه ووضع الألمان جائزة لمن يأتي به حياً أو ميتاً

وكانت فلورندا تتلهف شوقاً لأخباره وقلبها الطاهر النض يذوب إشفاقاً عليه، وكان جل مناها أن تراه فتتبعه رضى أم كره وتمنى به ، فمن يطبخ له ويوقد له النار ويرتق له الصدار ... كانت غارقة في الحب مسبوهة اللب ، وكأنما كان ألبير يضفى على الحقل بهاء والدوح رواء والسماء صفاء، فلما ذهب أضحى الكون موحشاً كئيباً والجو خانقاً والشمس مصفرة حزينة كأنما تشاركها الألم وتقاسمها الشجون

وتأسى الأم لذهول ابنتها وإغراقها في حب رجل أهدر دمه ... ولن يعود، فتقول :

— وهبك ملأت الأرض أنيناً ، أفتظنينه يسمعك يا فلورندا وتحطمها كلمات الأم فهو حقاً رجل هالك كان في حياتها كل شيء فلما ذهب خسرت كل شيء ولكنها لا تطرف ولا تجيب وتلوى عنانها إلى الحقل تطوف بمجالسه ، وتلثم آثاره، حتى إذا ما ألقى الليل غواشيه قفلت عائدة وفي صدرها سعير من الوجد يذيب الحشا ورمض الجوانح

ولم يذكرها ألبير فقد ملكت عليه ثورته لوطنه كل جارحة فيه ، وكان ينفث من حميته الهائلة وفكره الجبار ناراً تدفع بزملائه إلى أهول الأخطار . فإذا انكفأت إليه ذكرياته وألح عليه ماضيه بدت له فلورندا شبحاً باهتاً يظهر ويختفي كلما سلب من حياته الجديدة ساعة فراغ

وضجت قيادة جيش الاحتلال من فعاله فشددوا الرقابة وبثوا في مظان وجوده العيون

* * *

ويوماً شاع في العاصمة أن قطاراً قادماً يحمل زائراً عظيما فسرى بين الناس أن هتلر هو راكب القطار

وكيفما كان الراكب فقد عزم ألبير على أن يفجع الألمان فيه. وكان بارع التدبير حار الحماسة لتدمير القطار

ووقف على شاطئ خياله ليرى هتلر تبعثره الألغام وإذا الدنيا كلها بين يديه تسأله أي جزاء يختار ... حقاً ... ماذا يختار ؟

قال لنفسه : « أأكون ملكاً ... ولم لا . وأنا منقذ العالم من الدمار ؟ »

ودخل من خياله إلى قصره الملكي الموشى باليانع من الزهور الملفوف بالباسق من الأشجار تشدو عليها الطيور ، فإذا العرش ممرد منيف والفراش وثير ، وإذا المائدة تزخر بألوان من أشهى الأشربة وأطيب المآكل فيأكل ويروى ويسلم جسده لأريكة من فاخر الرياش

ويطير بأحلامه صفير القطار ... إن نوره القاتم يشق غياهب الظلام وهو يقبل مسرعاً إلى حتفه المحتوم — فتهيأ ألبير للعمل العظيم ... قال : القطار الآن فوق المنطقة الملغومة . فلأشعل الفتيل

وى ... إن الألغام لا تنفجر ... أترى رفقها خائن أم أخطأ في تركيبها زملائي المفاليك

وسمر ألبير في مكانه ليرى بغتة صرح آماله ينهار بينما يجرى القطار على قضبانه متطامناً سلس القياد

وأخذت تنتاب رأسه فورات من اليأس والحزن العميق . فجلس على أنقاض حلمه وقد كست عينيه غشاوة حجبت عن ناظره المرئيات . وسمع قهقهة عالية فريع قلبه ونظر فإذا جنود تحيط به كأنما قد تناثرت عنهم الأرض

— لقد أجهدتنا كثيراً يا ألبير

قالها قائد القوة في تهكم وتشف

وأسقط في يد ألبير ولكن روعه أفرخ حينما ذكر أنه أدى لوطنه رسالته وإن كانت لم تتم ، وكان رافع الرأس شامخ الأنف وهو يمشي بينهم إلى حيث لا يعود

***

وطلعت الصحف بنبأ القبض على الثائر ألبير وقرار إعدامه في ساحة عامة ليكون عبرة لمواطنيه

وزلزلت فلورندا ومادت برأسها الدنيا واحلولكت مرائيها وضربت في الطريق إلى بروكسل تتقصص أثره وتتسقط خبره ، بينما يصهرها الأسى ويفرى أحشاءها العذاب ، وشاطرتها الطبيعة الألم ، فاربد وجه الجو وهطل المطر غزيراً كأنما فتحت ميازيب السماء

وكنت ترى في شوارع بروكسل فتاة ذاهبة العقل تمشي الهوينى مرتبكة الأوصال والناس يقتحمونها بأنظارهم مشفقين

ولم يجد قائد حامية بروكسل في مظهر الفتاة القروية ريبة فسمح لها بوداع (شقيقها) ألبير

ومشت فلورندا في ممرات السجن الرهيب تتلمس سبيلها كالعميان، ونزلت إلى قبو رطب تنفذ أشعة ضئيلة من كوة فيه ، وكان ألبير يقبع هادئاً في ركن منه ... وتبينته بعد لأى فرمت نفسها على صدره ، وطوقت عنقه وراحت تقبله :

— أواه يا ألبير ... ألا تنبئني ... أنا الوالهة فلورندا

وأرتج على ألبير ... وشدهته زيارتها الطائرة وفاض صدره بالسعادة التي أقبلت عليه في غمرة همه ... أي مفاجأة هذه ... أو كانت تضمر له هذا الوجد وهو عنها لاه بالفتك بالألمان ؟ قال :

— ولكن ذلك يحببني في الحياة يا فلورندا وقد نفضت يدي منها

وينعص فم الفتاة بالأنين والزفرات ، وتخرج كلماتها كحشرجة المحتضر ؛ وقد بح صوتها فلم يدرك منه ألبير إلا أنها مريضة مدنفة ، وأن نبأ إعدامه دهمها فهي راغبة عن الحياة ... قالت :

— إنني جد ظمأى يا ألبير

ولما قام ليأتي لها بماء أخرجت من ثنية في ذيل ثوبها ورقة بها مسحوق قاتم الزرقة ، وفي غفلته وضعته في الكوب

وداعاً يا ألبير ... وإلى اللقاء ... في أطباق السماء .

وبدأت تتسلل روحها وتهمد أنفاسها

وبدت في غفوتها الأبدية كطائر وسنان ، وكأنما أزال الموت ما رسمه الهم على محياها اللاغب الوهنان ؛ فأشرق وجهها وانتشرت عليه علائم الاطمئنان

وحدق فيها ألبير وحدثته نفسه :

— لقد تجرعت سكرة الموت من هذا الكوب ما في ذلك ريب ، وفيه بقية تذهب بي إليها وتنقذني من إصر الألمان ... وصبها في جوفه !

وانبعث من خلال أوهامه شبح فلورندا يناديه :

— تعال ... تعال إليّ يا ألبير

فأجابها وهو يلفظ نفسه الأخير :

— هأنذا قادم على أثرك يا فلورندا ... ألا ترين جسدي يدب فيه الفناء ؟ !

محمد محمد مصطفى
بإدارة مدرسة البوليس

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)